نورالدين حنيف أبوشامة

طُقوسُ الطّواسِين

إضمامةٌ في قصيدةِ النّثر

نورالدين حنيف أبوشامة

طقوسُ الطّواسِين

إضمامةٌ في قصيدةِ النّثر

- نورالدين حنيف أبوشامة
- من مواليد مدينة الدارالبيضاء\ المغرب
- عضو في الجمعية الوطنية لصقارة القواسم
- خبير وطني في رياضة الأيكيدو
- مهتمّ بمجال الإبداع و الفنّ التشكيلي
- باحث في التربية و الفكر و الأدب
- لوحـةُ الغـلاف مـن إنجـازي (حبـر جـاف أزرق علـى ورق A4 بعنوان: عزفٌ مازوشيّ)

Abouchama24hanif@gmail.com

إهداء:

***

إلى امرأتِي الّتي تسكنُ الأزل

إلى (سين) و قد أحْيَتْ فيّ كلّ الأمل

***

تقديم:

نظـمُ الشـعرِ لـيسَ بـالأمر الهـيّن، لا في مجـال القصـيدة الخليليـة و لا في مجـالِ القصـيدة الحـرة، و لا في مجـالِ قصـيدة النّثـر، و لا في أي نـوعٍ شـعريّ آخـر... و الأمـر يكـاد يكـونُ أو هـو يكـونُ حالـةَ مخـاضٍ عسـير الانبثـاق، و عزيـزِ الانكشـاف، و غـابرِ التجلّـي، و لـو بـدا لبعضـنا ممّـن يَسِـمون ذواتهـم بالشـعراء أن القـريضَ ممكـنٌ مـادامَ مُتعَيِّنـاً فـي جسـد اللغـة، و بالتّـالي فـأيّ تحكـمٍ فـي ناصـيتِها هـو بالتـداعي و الاسـتتباع تحكّـمٌ في نواصـي الشـعر. و هـذا لعمْـرِي هـو الـوهمُ في التصـوّر و العطـبُ في الرؤيا.

و هنـا أتـذكّرُ الشـاعرَ القـديم "الفـرزدق" الّـذي يـؤثَرُ عنـه قـولٌ في الشـعر، كـادَ يسـير مسـار المثـل السّـائر فلهجَـتْ بـه الألسِـنة في غـابر الزمـان و في راهِنِـه الآن... قـال: (تمـرُّ عليّ السـاعة وقلـع ضِـرس مـن أضراسـي أهـون عليّ مـن عمـلِ بيـت مـن الشـعر) مُـدرِكاً فـي وقـتٍ مبكّـرٍ أن المشـقّة في قـرْضِ الشـعر عنـوانٌ كبيـرٌ في تجربـة القـول

العالي في منسوب الشعرية، بغضِّ النظرِ عن القوالب الفنية التي تحتضنُ هذا الشعر و هذا الإبداع.
أقول هذا في سياقٍ خاصّ، لأنّني و أنا أُعايِنُ قصائدي في هذه الإضمامة، وجدْتُها تنتمي لعقديْنِ من الزمن، نظَمْتُها في فترةٍ تراوحتْ بيْن عقدين ، من عام 2000 إلى عام 2020، و بعضُها انتمى إلى هذا العام و ما قبله، و هي قليلةٌ بالمقارنةِ مع سابقاتها في التأريخ. و في هذا المساق كانت القصائد ترفضُ التجلي و الكشف عن سيقانِها الفاتنة على صفيح صروحِ الانزياحاتِ الممرّدة من قوارير. و بعضها كان يأتي كالرؤيا و الأحلام، و بعضها كان ينسابُ انسياباً كأنها الزلالُ في يومٍ قائظ، و أغلبُها – كما أسلفْنا – كانَ عذاباً استوعبَه "الفرزدق" أيّما استيعاب.
الشّعْرُ في منظوري المتواضعِ محرابٌ خاصّ، لا يأتِي إلا بمكابدة طويلة لحصول الخشوع في حضرةِ الخيالِ المجنّح الذي لا يشبه واقعنا و في نفسِ الآن لا يتنكر لواقِعنا. من هنا قوّةُ نظمِ الشعر و فرادتُه و جبروته إن شئْنا قولاً مُنصِفا.

الطقس الأول

زَهْرٌ وَثَنِيّ

...

أطِـلّ مـنْ قلبـي عَلـى طقْـسٍ وحْشِـيّ. رُوحٌ تُراقِصُـها الْبحيْـراتُ في عُزْلَـة الْأسْـماكِ و الْمحـارات. قلْبُهـا كـانَ أيْقونَـةً لِظِـلِّ الْمـاء، و لِنـداءِ الْغَيْمـات. لـمْ تكـنْ لَهـا أجْنِحـةٌ وكانتْ لها كلُّ السّماوات...

علّقِـي أحْلامَـكِ الْخُرافِيّـة عَلـى قلْبـي الْمُوحّـد. علِّمـي زَهْراتِـكِ الْوثنِيّـة أنّ أجْمـلَ الصّـلوات هـيَ مَحـارِيبِي الْمُخَضّـبَة بِـدُموعِ الْوقْفـات... و أنّ قِبْلَـةَ الْحـبّ هِـيَ أخْلَصُ الْقبْلات.

توضّـئي بِالصّـبْحِ النّـديّ، يُرتِّـل عَلـى شَـفَتَيْكِ عَناقِيـدَ اللّيْـلِ الْجَسُـور، يَقْضِـمُ حبّـاتِ النّبيـذ فـي أسْـرارِ الْوجْنـات. فَكـلُّ الْقَصـائِدِ خـارِجَ عَيْنَيْـكِ كـافِرَةٌ و مارِقَـةٌ عَنْ زنابِقِ الْمِلّات.

...

الطقس الثاني

طَواسِين

...

قالَـتْ لِـي ذاتَ همْـس: ضَـعْ أزْهـارَكَ في سُـلّتَيْن، سُـلّةٌ للشّمْس، و أخْرَى سَيَطالُها بعْدَ حِينٍ رَنينُ الرّمْس.

قلـتُ : مـا هـذا الْفـألُ؟ وَ هـلْ تقْـرَئينَ كِتـابِي فِي أزْمِنَـة الْاِنْبِثاقِ أمْ هُوَ طَيفٌ منَ الْمَسّ ؟

قالَـتْ : مـنْ يعْشَـقِ الْفراشَـةَ فِي دِيـنِ الْيَاسَـمِين لا يأْبَـهُ لِشَـكْلِ الْمـوت... أيمـوتُ علـى مـتْنِ الْعَسَـلِ أمْ ينْتَهِـي على ذَبْحِ الرّقْص.

قلـتُ: فهـلْ مِـنْ خيـارٍ يرْفَعنِـي في صَـبِيبِ الْحُلـم ؟ يمْـنحُ جسَــدِي وجــوديْن، واحِــدٌ لِـي و آخَــرُ لَــكِ... فِـي شُــرُودِ الْعرْس؟

قالَــتْ : ضُــمَّ طــاءَ طِيبَتِــكَ إلـى سِــين سُــؤالِك، تَجِــد صِفَتك. تُلْغِي في رَوْعِكَ حالَةَ اللّبْس.

قُلــتُ : هِــيَ ذِي قصّــةُ الطّواسِــين. صــاغَها الْواصِــلُ قَــبْلاً بِدَمِ الشّهادَةِ قَدِيماً بالْأمْس.

...

الطقس الثالث

طعْمُ امْرأة

...

هِـــيَ ذِي الْأرضُ واضِـــحَةُ الْعـــراء... صَـــمْتِي لِباسُـــها وَشِـــعْرِي بَأسُـــها، و حبّـــي الْمُضَـــرّجُ فـي الْانْتِحـــابِ هُـــو يَأسُها .

أضـمُّ يـدِي إلى أضـلُعِها، ينْكسِـرُ في رَوْعِـي طعْـمُ امْـرأةٍ لـيسَ لَهـا صـباح... و لهـا اللّيْـلُ كـائِنٌ مُـراوغ، يُحـوّلُ الْعطَـشَ فِي الْتِمـاعِ الْمِيـاه رَقْصـاً بـاذِخَ التّأويـل، عَبْقَـرِيَّ

الـدّم، صَـرِيع الْألـم. يكِتُبُنـي سـلِيلَ الْفَـوْتِ والنّـدم. ثـمّ يُرَشّحُني أهْلاً لِقَضْمِ تُفّاحِ الْحبّ الْعصِيّ.

فيـا أنَـا... مُـذْ كنـتُ أنَـا. و يَـا أنـا حيـث انتهَـتْ سِـدرةُ المنْتَهـي و الْمُنـى. هـل لِـي بِظـلٍّ أُورِفُ فيـه شـكْلِيَ الظّـامئ، أوقِـدُ فيـهِ فِكـرَة الاِحْتِمـالِ، و أفْـتحُ علـى مِصْراعيْنِ شَدِيديْنِ شبَقَ الشّمْسِ لِسيّدِها الْقَمر.

و هـلْ أزوِّجُ الْـوَرْدَة لإلـهِ الْجمـالِ و الْجـلالِ ؟! و أقـولُ لِلْأُقْحوان : هيّا تبَخَّرْ.

أكـادُ أجِـدُ بعْـضَ الصّـباح فِي كفّـيَ الْمُجَعّـدَة، و قَلِـيلاً مِـنَ الْغِوايَـةِ الْمُدلّهـة، تُصَـفّي الْمـاء في مَصـافِي أغَـانِي النَّهـر، وتأمُرني ناصحةً بليغةً أن أسكن في أجنحة الرياح...

...

الطقس الرابع
تشْكِيل

...

هَـا أنَـا أمضِـي فِي عُمْـقِ لَوحـاتِي، أشَـكِّلُني مـرّةً لحْـنَ وصْـل و مـرّةً صُـوفِياً يُصـلّي واقِفـاً علـى مَهْـل. و مـرّاتٍ دوائِـرَ تـتكلّمُ بـالْجُرْحِ و نِكايَـةِ النّصْـل. و مـرّاتٍ أخْـرى تُرسـلُني الْألْـوانُ و الْأصْـباغُ و الْأضْـواءُ و الظّـلالُ و الْمسـاحاتُ و الْأبْعادُ في سِفر المتاه.

أدْرِكُ عِنْـدَها نـارَ الْأبدِيّـة فـي جَفـافِ الْحِبْـر وفـي كـلامِ الْأزرَقِ الْمـاكِر... أطيـرُ في الْبَيَـاض و أطْـرُدُ الْجـراحَ وحمْـرةً صاخِبة.

أدسُّ فـي صــمتِ الْــورق كــلّ الأسْــهُمِ الْمرْشُــوقَة فِـي صَــدْرِيَ الْغــادِر. أعْجِــنُ الْقُمــاش بصــرْخَةِ الْخشَــب، و أُصَــوِّبُ الرّيشَــةَ فِي قلْــبِ قَلْبِــكِ اللّهِــب... أشْــهِدُ الْقَمَــرَ أنّــك أنْــتِ وحْــدَك مــنْ أسْــكتَ و أنْطَــقَ هــذا الْيَــراعَ في قَوافِي الشّغَب.

...

الطقس الخامس
دَثِّرِينِي

...

عَــارٍ أنَــا منِّــي ومِــنْ طِينِــي، فَــدَثِّرِينِي أيّتُهــا الْوارِفَــةُ والْواقِفَةُ على دَمِي... دَثِّرِينِي...

تَــرْقُبِينَ انْسِــلالَ الضّــوْء فِي رُوحِــي الْعَطْشَــى. تحْدِسِــينَ انْثِيالَ الصّهِيل في هَذِي الشّرايِين.

عـارٍ أنـا مـن ذاكِرَتِي. و مِـنْ تَـارِيخِي الْمُهَـذّبِ و الْمـائِع.
عـارٍ مـنْ قَوامِيسِـي الطّاعِنَـةِ فِي صَـوْتِ الْقَصَـبِ اللّامِـعِ بِشَدْوِ الشّياطِينِ.

دَثّرِينِـي حتّـى أتمَكّـنَ فِي انْسِـدادِ النّـورِ مـنَ الْقَـبْضِ عَلى شــكْلِ الْمــاءِ فـي جســدِ امــرأةٍ عَارِيَــة، تلْــبَسُ أحْلَــى الْفَساتِين.

غَطّينِــي مــن أقْصَــى الْعــيْنِ إلــى أقْصــى الْعــيْن... واحْفظِينِـي بنَجْمَـةِ السّـماء أنْ تَقْرَأنِي فَرْقَـدةٌ عـابِرةٌ في الـرّيحِ مسـافةً عرْجـاءَ أو غَيْمـاً جائِعـاً في حُقـولِ الْقَمَـرِ الْحزينِ.

هَـا رمـادُ الْحَجـر يَسْـتَبِيحُ جِهـاتِي. و هَـا رذاذُ الْمَطَـرِ يمْـنحُ جســدي الْمَعْقُــوفَ أوْسِــمَةَ الاِحْتِمــال. و فـي فلْسَــفَةِ الاِنْتِظار أَلْمعَ النّياشِينِ.

أيَـا سَـيّدة الْغُمُـوض... هَـا كَفِّـي حلِيـبٌ وَدود. أمُـدّها بَعْـضَ حَفْنـاتٍ مـنْ مَزامِيـرَ سَـابِحاتٍ فِيِ أنْشُـودة الْوقْـتِ الْمكِينِ.

عَسـانِي أَلْقَـى فِي يَـدِ الشّـمْسِ لُغَتِـي الْمُسـافِرَة و بَعْـضَ الْعِنـاقِ لِاسْـتعارات الشّـعاعِ فِـي اسْتِرْسـالِ النّـدَى وأعْراسِ الْيَاسَمِينِ.

أيَـا أنَـا في احْتمـالِ الْمـوت. كُـنْ في لَحْنِهـا قَـدَراً و لا تـكُ عبُوراً فِي قِصّة الرّجوعِ لآخِرِ السّلاطِين.

...

الطقس السادس

عُزْلةُ الْغَيْم

...

لا عُزلـةَ لِلغـيم حِـينَ تكـونُ شِـتاءُ الْقلـبِ مَطـراً يُجامِـلُ أرْضَ الْغِوايَــة... فَهيّــا يــا سَــماءُ! أشْــرِعِي لِلْقَصــيدةِ نَوافِــذَ الْعِشْــق فِـي أبْــوابِ الْحِكايَــة... و ضُــمِّي رِيــشَ أجْنِحَتــي إلى مَجـازِكِ الْقـوِيِّ كـيْ أطيـرَ عاليـاً فِي كِتـابِ الْوِصَـايَة... مُـدِّينِي بِفلْسَـفَةِ الرّسُـلِ دَرْسـاً دَرْسـاً... و احِـدٌ لِصـاحِبِ الـدّارِ و ثـانٍ لامْتِـدادِ الِغـارِ فِي تراتِيـلِ الْهِدايَـة... هَــا قَلْبِــي صُــورة... وَرْدةٌ لِصــلاةٍ مُســافِرَة تبْتَهِــلُ اللّهَ

مَحبّـةً فِي انْكِسـارِ النِّهايـات وَ فِي جبْـرِ الْبِدايَـة... يـا حبّـذا أرْقَى إلـى جَسَــدي حِــينَ جسَــدِي يُخاصِــمُني فـي لونِــهِ الْأحْمَر... أشِطُّ بهِ بَعيداً عندَ سِدْرَةِ النّهايَة...

أُشْــرِبُهُ يَبــاسَ الــدّراوِيش، أرَقِّــصُ قَدَميْــهِ علـى نَغمــاتِ الطّرابِيش فِي فتْلِ السّجايَا...

حتّــى أفْتِــكَ بِــالْعَطَش يَمْشِــي فـي نسْــغِهِ الْجــاهِلِيّ، وحتّــى يسْــتَقِيمَ لِـي خَطْــوُ الظّمــأ، فِـي مَقــامِي و فِـي ممْشايَ...

وَ يـا حبّـذا هَـذِي الْحيـاةُ، عِطْـرٌ دائِـمٌ يَعْشَـقُ رَذاذَ الـرّوح، يُحــوّلُ رَشْــحِيَ الــدّنْيَوِي إلـى ضَــوْعٍ بِقِيثــارَة، لا يَتَشَــمّمُ ألحانَها فِي الْأنامِ سِوايَ.

...

الطقس السابع
خُطْوتانِ شَارِدَتان

...

و أنــتِ تَعْقِــيلِنَ الطّــين فِي تكْــوِينِي، لا تنْسَــيْ أن تقْرِئِي هــذا الْجسَــدَ الْوحْشِــيّ فِي سِــفْرِ التّــأبِين. لا تَنْسَــيْ أنْ تَمُجِّي ظِلّك فِي ظِلِّهِ الْمُسْتَكين.

عُـدِّي فِـي أضْـلُعِي: كـمْ غُصْـناً ناشِـفاً يُعـاكِسُ حبّـاتِ الرّمّـانِ فِـي وجنتيْـكِ، و يُحاصِـرُ صَـلَفَ التّفـاح رَغْبَـةً صَلْصالِيةً تنْحلُّ في الثّرَى الدّفِين.

كـمْ صـاغَنِي عقْلُـكِ حقْـلاً يبُوسـهُ الـرَذَاذُ و قَمـراً يهابُـهُ الْمِـدادُ، و مَوْجـاً خَاصَـمَ الْبَحْـرَ قبْـلَ أنْ يسْـقُطَ الْمِيعـادُ فِي رمْلٍ لا يَشْهَدُ الْعُبُورَ إلا فِي خُطْوتيْنِ شارِدَتيْنِ:

واحِـدةٌ لـكِ تتْبَعُهـا الظِّبـاءُ... و ثانِيـةٌ لِي يمحُوهـا الْمسـاءُ. و فِي آخِـرِ الْحِكايَـاتِ تعِـيشُ الظّبْيـةُ مثْـلَ قَافِيـةٍ تـدُسُّ في جيْبِهـا الْواسِـعِ ظـلالَ صفْصـافَةٍ وَافِيـة، فِيمـا أسْـكنُ أنـا داخِـلَ جُرْحِـيَ الْغـائِر، أتهَجّـى في صَـمْتِهِ تعْوِيـذةَ آمِـين، ثمّ أستكين...

هَـا لَمـاكِ أيّتُهـا النّـادِرَةُ يَهْجـسُ لِـي بِـأنّ الشّـفَتَيْن فِي عُـرْفِ الشّـعراءِ لُؤلُتـان، و الْعِقْـدَ بَـرَدٌ مـنْ زَواجِ الْأسْـنان. و أنّ الثّغْـرَ لمّـا ينْسَـدّ ينْفَـتِحُ فِي رَوْعِـي ألـفُ بـابٍ لِفِتْنَـةِ الشّرايين.

فَهـلْ تَرانِي عَيْنُـكِ الْبِلّوْرِيّـةُ بَحْـراً مـنْ جُنـونٍ؟ أمْ مَرَايـا صَـدِئة خانَتْهـا الْاِسْـتعارات وَرَمـتْ بِهـا الْمجـازَاتُ فِـي مَرْثِياتِ الزّمنِ الْحزِين؟

يتهجّـانِي العطـرُ في جُيُوبِـكِ الْعبِقَـة حُرُوفـاً تَـرْقُصُ فِي نـونٍ تَهْمِـسُ و واوٍ تُـرْهِصُ بِـراءٍ نَزِقَـة... أُخْـرُجُ مـن جلـدي مثـلَ خَرِيطَـةٍ مِـنْ ياسَـمين، في صَـدْرِكِ الـرّنين... اسَّـمَّعُ نبْضـاتِهِ اللّبِقَـة. أعـيشُ في الْوهْلَـةِ الْقصِـيرَة ألْـفَ حِكايَـةٍ و رِوايَـة أكـون الْبطَـلَ فِيهـا و تَكُـونِين... آنـذاكَ أقـول للْموتِ آمين... آمين... آمين...

...

الطقس الثامن

إلى حيثُ هيَ تشاء

...

أرَى الْقَصِـيدَة خِضْـراً أهْيَـف. أعْصـرُ ثُمالَتَـه الْبَرِيئَـة فِي قبْضـةِ كفِّـي الجرِيئَـة، وَ أرَانِي سَـيّداً ضَـلِيلا أبْحـثُ فِي رُبـوعِ مَمْلَكتِـي عـنْ غـادَةٍ مـاردةٍ تُـتْقِنُ فـنّ الْإِنْشـاد، في أزمنةِ الغابرين....

فثُلّـةُ الشّـعراءِ الْقـابِعِين فِي جيْبِـي أغْـراهُمُ بَرِيـقُ الـدّينارِ حتّـى سَـقاهُمُ لوْثَـةَ الْـوهْم، وَسَـمَ صُـدورَهُمُ الْعارِيَـةَ مِـنَ الشّـعْرِ فِي قِيعـانِ الْبَـوارِ. أرْداهُـمْ في غـبنِ الظهـورِ وقضـى لهم صفاتِ المساكين...

فَلسْـتُ ذاكَ الْمُـراقِصَ لسَـيّدَةِ الضّـوءِ، أبْتَغِـي مِـنْ عُودِهـا الْقَمَـرِي حَلِيبـاً أو عِنبـاً عَـذْبا. أو نَبِيـذاً يَشْـرَبُنِي نَخْبـاً لِعُـرْسِ الْقـامَتيْنِ، تَرْسُـمانِ فِـي رَقْصَـةِ الْمـاءِ إيقاعـاتِ الْغَجَـرِ الْقَتِيلَـة، تعيشـان بفمـي عيْـثَ الظّامِئين...

و لَسْـتُ أتـذَوّقُ عِطْـرَ الْخَلِيلَـةِ عُبُـوراً في سُـوقِ الْعُطـورِ وهْـيَ الْمُعطّـرَةُ باحْتِمـالِ الْجنّـة... لا يَقُـولُ الْعَبَـقُ فِيهـا وَهْـيَ الرّاسِـخَةُ فِي فَلْسَـفَةِ الْعِنـاقْ أنّ الـذّوقَ يُشْـتَرَى، وأنّ الْعَبِيـرَ مُمْكِـنٌ خـارِجَ الأُنْثَـى الصّـقِيلَة، إذا هـي كانتْ من الرّاسخين...

هَـا أنْـتِ يَـا سَـيّدَتِي، تُرْسِـلِينَ كَفَّـكِ الْحانِيـةَ عَلى كَتِفِـي الْمُزْهِـر... تَعْـزِفِينَ خَطْـوَكِ الْجمِيـل علـى شَـوارِعِ

الشّـريان، و تَهُـزِّينَ رُوحِـي مَسَـافَةً مُختَلِجـةً عَـنِ الْـبَلاطِ حتّى أطِيرَ فِي شَعْرِكِ الْمُسْدَل رَذاذاً لا يَبِين.

و فِـي همْـسِ الْقَـدَمَيْنِ يَطِيـبُ لـهُ أنْ يسْـتَكِين... فَلـنْ أكونَ فِي تارِيخِ الْعِشْقِ آخِرَ السّالِكين.

ضُـمِّينِي أيّتُهـا الْاِسْـتِعارَةُ الْمُدجّجـةُ بِاحْتِمـالِ الْمَـدِيح إلى صَـدْرِكِ الْفارِسِـيّ الـرّنين... ضُـمِّينِي كـيْ أتبَخّـرَ فِي قلْـبِ النّرْجِسَـة و كَـيْ أثْبِـتَ للشّـفَقِ الْأخْضَـرِ أنّنـي أعْـدو مثْلَ فَراشَة فِي جَلِيلِ الْبَسَاتِين.

يَـا صـاحِبَةَ الْعيْنَـيْنِ النّجْمتـيْنِ! دَعِينِـي أغُـوصُ نبْعـاً إضـافِيّاً أو نُـوراً شَـهِيّاً يسـتيقظُ فِـي الـرِّمْشِ، أو حَرِيـراً مخْمِلِيّـاً إلى سُـوَيْداءِ الْقلْـبِ يمْشِـي... أوْ شُـعاعاً يحْمِـلُ فِي يُمْنـاهُ نَهْـراً و فِـي يُسْـراهُ مَسـاءً ينْسَـلّ مـنْ أوْراقِ الْحِكايَـة... يرْفَـعُ الْبَنفْسَـجَةَ هَدِيـةً إلى الْهُـدْبِ الْكَحِيـل. لـنْ تَبْتَسِـمِي يـا سَـيّدَتِي بَعْـدَ الْيَـومِ خـارِجَ إذْنِي. فأنـا أغـارُ عَلى انْفِـلاقِ الْبَـرَدِ مـنْ أجْنِحَـةِ الْفراشـاتِ. لا تَكـونِي طِفْلَـة

شَـقِيّةً حتّـى إذا فـاضَ قَلْبِـي زَكّيْـتُ ضَـحْكَتَك عنْـد السّماواتِ و كنتُ أنا أولَ الْهائِمِينَ.

فِي عُـرْسِ الْأسْـنانِ ألْـثُمُ الْبَرِيـقَ فِيهـا، شـاعِراً يَسْـتجْدِي عَطْـفَ الْقافِيـات. هـاتِ قُبْلَتَـك، يـا سَـيّدتِي كـيْ ارْشـفَ قَهْـوتِي الصّـباحِية فِي نخْـبِ الْفـرَح. أرِيـدُ أنْ أبْـدأ نهـاراتِي بِأجْمـلِ بَسْـملَةٍ تلْتَمِـعُ فِـي بَراءَتِهـا مقـولاتُ الْمَـرح، وحبّـاتُ الْعوْسَـجِ الشّـرِيدة. أعْجِنُهـا خـارِجَ قَصْـعاتِ الْحُـزن، أشّـكّلُها خبْـزَةً مُبارَكـةً، تقْضِـمُها أيـادِي الصّالحين.

أرْسِـلي بِطاقاتِـكِ الرّيّانَـة إلـى أعـالِي السّـماء، تمْـتَحُ الْبيَـاضَ مـنْ اِسْـمِها و النّقـاء. أخْتَـزلُ أنـا الباهِـت مـنْ تعْوِيـذاتِها جـوازَ سَـفَرِي إلى وَهـجِ الْبَقـاء، حيـثُ الْخلِيلَـة تشـدُّ أضْـلُعِي الْنّـافِرة... تَرْحَـلُ بِهـا إلى حيـثُ هِـيَ تشـاء و شاءَ نبْضُها الرّنين...

...

الطقس التاسع

هي الأجدر

...

أتوسَّــدُ الْمعْنَــى في جـلالِ الْحُضُــورِ لـدى أحْمَــرِ الْـنّغَمِ، وفي دَاجِــي السّــطورِ... أرْدمُ رَبّـابَتِي فِي رَمْـلِ الصّــهِيلِ، ضــوْءاً ظامِئــاً، يُغَنِّــي رِحْلَتِــي الْخُرافِيّــة، علـى مَقامَــاتِ الْماءِ و الْكوثر.

تُغَيِّبُنِي السّماء فِي مُقَلِ الْسّحابِ... أُولَدُ أغْنِيّةً رَجْفانَة، تنْتَشِي بثَغْرِ النّار. تلْثُمُ الشّرَرَ النّهائِيّ، ثمّ تكْنِسُ مِنْ قَلْبِها كلَّ أوْتارِ الْيَباب. و لا تُبْقِي في أدغالِ اللّحونِ إلا الأقْمر.

هِيَ ذِي وصْلاتُ الرّوحِ الرّمْلِيّة تقُولُ لِلْبَحْرِ: اعْزِفْ لَحْنَها الْواصِل، ثمّ اغْرِفْ مِنْ خَفْقِها نبْضَةً أو نبْضَتيْن عَسَى أنْ ينْبتَ فِي كفِّي بعْضٌ منْها: فراشَةٌ أو فَراشَتان... جناحٌ أخْضَرُ، أو سِفْرٌ مِنْ حقّ الْأنْبِياء، سَما لَها و بِها... فكانَتْ فِي عزْفِ النّساءِ هِيَ الْأجْدَرُ.

...

الطقس العاشر

ظِلالٌ متخَفّيّة

...

أرْسُــمُ دَمِــي فِي عُــرْسِ التّهْطــال جَنُوبــاً يقْــذِفُ حِجــارَة السّؤال

...

و أُمَهِّــدُنِي انْسِــياباً فِــي حُمْــرَة الطِّــين يهــزِئُ بشُــقْرَة الشّمال

...

يقُــولُ لِلْقَمْــحِ مرْحبــا. وَ لِلنّــدوبِ و الْجُــرُوحِ و لِلثّقُــوبِ و الشُّــرُوخِ. يَقُــولُ أيْضــاً: هَــا أنَــا لكــمْ مــوْطِنٌ عَــاهِرٌ، أفْــتَحُ صَــدْرِيَ الزّاحِــف، لِمَشْــيئاتِ الْغَمــامِ النّاشِــف، يَسْــتَبِيحُ كَمَنْجــاتِ الْمــاءِ، يَعْشَــقُ ضَــرْبَةَ حَــظٍّ، يَرْتَضِــي فُسْــحَةَ الْخيال

...

و أصُــوغُنِي هَرَبــاً صَــرِيحاً مــنْ ملاجِــئِ الْفُتــاتِ، و مــنْ حَضِـيضِ الْبُغـاثِ إلى سَـدِيمِ الشّـتات. أصْـنعُ مـنْ رِيشِـي طاقِيَــةَ اسْــتِخْفاءٍ ألْبَسُــها حِــينَ السّــماءُ تلْــبَسُ حِــدادَ الضّلال

...

أخْتفِـي حِـينَ أحْفَـظُ رِئَتِـي عـنْ ظهْـرِ قلْـبٍ... هـلْ هَواؤُهـا أنَــا و هــلْ أنَــا هَواؤُهــا...؟ ثــمّ أكْــنسُ مــنْ طَرِيقِــي لُغَــة الشّبَهِ الْمَقِيتَة و أرْسُمُنِي ظِلّاً شَدِيدَ الظِّلال

...

الطقس الحادي عشر

حينَ تحبو اللغة

...

أعــرِفُ أنّ الْأرْضَ لا تنْشَــقّ لِســوادِ الْعَــيْنِ الْحــوْراءِ.
وأعـرِفُ أنّ الْمـاءَ يَنْسـابُ فِي يَـدِ اللّهِ، قبْـلَ أنْ ينْسـابَ فِي مجَازِ الشّعراء...

...

لكِنّنِـي أعْـرِفُ أنّ اللُّغَـةَ حِـينَ تَحْبُـو فِي ألْسِـنَتِنا تُشْـعِلُ نارَ الْعَنْقاءِ.

...

و أعْـرِفُ أنّ الْمَـوْجَ ينْكَسِـرُ علـى قَـدمِ الرّمْـلِ لأنّ الْبحْـرَ قنّـاصٌ أمْهَـرُ مـنْ قِـرْشٍ جـائِعٍ. و أنّ صـنّارَتَهُ الْهَيْفـاءَ تلْـبَسُ طاقِيـةَ الْإِسْـتِخْفاء. و أنّ الْمَوْجَـةَ سُـلحْفاةٌ قَدِيمَـةٌ. تَرْكـبُ ظَهْـرَ الْغـيْمِ، و أنّ الْغَـيْمَ فاضِـحٌ سَـرِيرَتَها الْبَطِيئَـة،

حـــينَ تشْـــرَبُ قَهْـــوَةَ الصّـــباحِ علـــى نخْـــبِ الْملّاحِـــينَ التّعســـاء... أعْـــرِفُ أنّهـــا حَزِينَـــةٌ علـــى صِـــغارِها فِي تُـــرْبٍ مَجْهـــولٍ تُعطّـــلُ ذاكِـــرَةَ الْإنْجـــابِ، ثُـــمّ تهُـــزُّ لِلسّـــكارَى رِدْفَ قَوْقَعَتِها. تهربُ إلى عُمْقِ الصّمت منْ بَطْشِ الْماء.

...

لكِنّنِـــي أعْـــرِفُ أنّ اللُّغَـــةَ حِـــينَ تَحْبُـــو فِي ألْسِـــنَتِنا تُشْـــعِلُ نارَ الْعَنْقاء.

...

هَـــا أنَـــا الْآنَ ثَمِـــلٌ بِمُفْرَدَاتِـــي مِثْـــلَ رَذاذٍ عَـــلا رأْسَ الرّغْـــوَة، انْتَشَـــى فِي جُنُـــون. يَقْضِـــمُ مِـــنْ خَـــدِّ الْمُزْنَـــةِ، و الْمُزْنَـــةُ لا تَـــدْرِي بِـــأيِّ أرْضٍ تَكـــون... و كـــلُّ هَمِّهـــا أنْ تسْـــرِقَ مِـــنْ سَـــمْت السّـــماءِ شَـــكْلَ الـــرِّيحِ و فـــنّ الـــرُّوحِ حِـــينَ الـــرُّوحُ تلْعَنُ فِكْرَةَ الْخَواء.

...

لكِنّنِـــي أعْـــرِفُ أنّ اللُّغَـــةَ حِـــينَ تَحْبُـــو فِي ألْسِـــنَتِنا تُشْـــعِلُ نارَ الْعَنْقاء.

...

الطقس الثاني عشر

يحسبني محارا

...

أقحوانـةٌ في جـوفِ بركـان. نـارٌ تعشـقُ الزّجـاج. و دَمِـي ورْدتـــان فـي قلـــبِ مِزْهريـــةٍ، يهْمـــسُ للتّـــرابِ حِكايَـــةَ الْمقلَتيْنِ... لا تَنامان.

كـفٌّ نديّـةٌ ترْبـتُ على ظَهْـرِي، تَبـوسُ ظِلّـي، تُرسِـلُني أنـا الوحيدَ في معشَرِي عَنِدَلِيباً زَكيَّ الشّريان.

أطيـرُ إليـكِ بيَـديْنِ و شِـعرٍ بحْـرِيٍّ يجـدفُ بغيْـرِ رويٍّ و قـدْ خاصمَ الْقوافي، فنازَعهُ الْبيان.

فمــنْ يرانِــي يحســبُني محــاراً، قدّســتْهُ الْميــاه. و راحَ يضــحكُ منــهُ الْمتــاه حتّــى إذا انْســلّ عمْقِــي إلى سِــدْرةِ الْمنتهــى، وجــدِتُكِ غيْمَــةَ لَطيفــةً تُبلّــلُ شِــفاهَ الْخرِيــف عاليــةً علــى النزّيــف... وَصــاحيةً مثــلَ صــباحٍ يمشِــي بِنعلٍ واحدة، ترقصُ على إيقاعاتِ النّسيان.

هــا الْفراشــاتُ صــاحِباتٌ حاضِــراتٌ و حــذِراتٌ. تغــزِلنَ الْفجــرَ في صــوفِ الْغِوايــة، و تنقضْــنَهُ كلّمــا بــدا النــورُ في قبضةِ سيّدِ الْفرسان.

...

الطقس الثالث عشر

كفّك المنكسرة

...

أرفُلُ في ظلّ الْياسمينة بغيرِ أسئلة. أسيلُ كل صباحٍ ضوءاً جديراً و جليلاً...يُلْغِي وعْيَ المسألة. ها كفّكِ الْمنكسرةُ بينَ قَدَرَيْنِ. تمسحُ ظهْرِي الْمُترب، تبوسُ ظِلّي المُتعب بشفتيْنِ هُما الْقصيدتان، و هُما الْوردتان تصُوغانِ دمِي و فِي فَمِي الصّوفيّ عابداً لا يملّ الْخشوع، لا ينِي يطلب الرّجوع إلى صدر القمر المُولّه.

...

الطقس الرابع عشر

تفاح المغامرة

...

آكـلُ كِسْـرَةَ خُبْـزٍ عجَنَتْـهُ كفُّـكِ الضّـوْئِيّةُ بِمـاءِ الْمَطـر. أشْـبَعُ حِـينَ الْبَصَـرُ منْـكِ يَـزوغُ عـنْ أقْـواسِ الْمـدَى إلى قَلْبِـي. يُطْعِمُـهُ شـيْئاً مـن اللّه. يُلْقِمُـهُ شُـعاعاً نَـزَحَ مـنْ سَدِيمِ الْكوْثَر.

...

أبْتلِـعُ جُنُـونِي الْمشْـروع دخانـاً يمْلَـؤُني، يَحْتّلُّنِـي. أرْفُـضَ الرّجـوع. وَ قـدْ أحْبَبْـتُ فِيـكِ تُفّـاحَ الْمُغـامَرَة. فـدَعِينِي أقْضِـمُ مـنْ فنِّـكِ الْخُرافِـيّ كـلَّ الطّـينِ و النّـارِ... و كـلَّ الْكِتابَة الْمجْرُوحَةِ فِي هَسْهَساتِ الشّجَر.

...

دَعِينِـي أفْـتِنُ النّسـاءَ بالشّـجَرَة، تحْتكِـرُ ظلّـكِ الْمَعْجـون فِـي رائِحَـة الْجنّـة، و قَـدّكِ الْمرْسُـوم فِـي هَـوى النّخْلَـةِ الْمُؤْمِنَة. دَعِينِي أمْدحُكِ حتّى أسْتَوِي أنَا و الْقَمر.

...

يـا وجْنَـةً !... تحْتـرِفُ الصّـدْقَ. هَـا ثَغْـرِي مَوْجـة، يـرْفُضُ الرّمْـلُ عِناقَهـا في أعْـراسِ الْبحْـرِ... و هَـا أنَـا... شـاطِئٌ لا تَرْسُو على متْنِي قَوارِبُ الْحبَقِ و الْيَاسَمِينِ... والزّعْتَر.

...

الطقس الخامس عشر

السّاعَةُ الْآنَ

...

السّاعةُ الآن: سُدْفَةٌ إلَّاهَا.

و لوْ طَرَقَتْ بَابِيَ الْمُنْتَشِي،

لاخْتالَ اللّيْلُ صَلَفاً، وَ تَاهَ...

...

حسْبِي مِنِها إشارَةٌ خَفِيّةٌ

تَنْزِلُ ضَرِيفَةً و خفيفةً

عَلى ذُهُولِيَ الْوسْنان،

فَتَخْطُو عَيْنِي خَطْوَها...

و تَسِيرُ عَلى مَمْشَاها.

...

أزْوَرُّ وَحِيداَ فِي ظُلَمِ الْجُرْحِ...
و فِي دُرَجِ النّوَى النّازِحِ
أَلْثُمُ طَيْفَها الشّجَرِيّ
ثمّ تُرْسِلُنِي بِدافِعٍ وَرْدِيٍّ
إلى عَيْنِي، حيْثُ مَبْداهَا...
...
لا شَكْلَ للرّيحِ...
و لا لِعِظَامِها الْمَعْقُوفَةِ،
و هْيَ تطْرُقُ بابِي...
عطّلْتُ أنْخابِي.
لمْ تَكُنْ...
و كانتِ الرّيحُ
تصْرُخُ: واهاً واهَا...
...
فِي الدّاخِلِ: صمْتٌ مُقْعَدٌ
و أنَا و تُفّاحَةٌ و مَقْعَدٌ.
و حِوارُنا، كانَ نَصْلاً مُثْقَلا...
وَ الرّغْبَةُ، سِكّيناً أعْزَل
رَتّبَتْنِي نَهْراً مُعَطّلا...

شَرِبْتُ، و قَدْ حَظَرَتْ عَنِّي مَاهَا ...

...

أُقَشِّرُ التّفاحَةَ الْبُنّيّةَ

نِكايَةً فِي الْوقْتِ الْمَيّتِ.

أنْتَقِدُ حلاوَتَها الْعَدَمِيّةَ،

و عُودَهَا الْماكِر.

أنْتَظِرُ سُقُوطَ الْجنّة

و الْجنّةُ دامتْ مثْواهَا...

...

اسَّمَّعُ جَرسَ اللّيْلِ،

أفْتحُ الْجَسَدَ و يغْزُونِيَ السّؤال.

كانتْ أمامِي...

و يَرْقُصُ فِي ظِلِّها الْموّال.

قلْتُ: أهْلاً ... قلْتُ: سَهْلاً...

كانَ الْخَرَسُ بِدايَة

و فيْضُ الرّوحِ ... مُنْتَهاها...

...

الطقس السادس عشر
خصلةٌ متلبّسةٌ بالخروج

...

الْمجْــدُ لِخُصْــلاتٍ تسْــحَرُ الْغِيــاب... تَمْتَطِــي الرّؤيــا وتقْتَــرِضُ مــن الْقَمَــر بَعْــضَ الــرّوح. تغْسِــلُ السّــوادَ الرّقِيــقَ فِي عــيْنِ الشّــفقِ، ثــمّ تنْحــتُ مــن النّــارِ تمْثــالَ الْأنِين.

تُغَنِّيني الضّفيرَةُ الْخَجُولَةُ يوْماً جدِيداً فِي مِسْكِ الظّلالِ و فِي ظِلالِ الْمسْك. يرْشَحُ منْ ذُؤاباتِها الْمُطِلّة ثمّ يسْقِيني دنَّ سُلافَة. يقْتَلِعُني من رِحْلتِي الْبلْهاء إلى قرار الْعِشْقِ الْمكِين.

أقْبِضُ على الْخصْلَة مُتلَبّسَةً بالْخُرُوج. أُرْسِلُها إلى أخواتِها فِي دفْءِ الْيَقِين.

أدْعُوها إلى مأدُبَةِ الْجلال كيْ ترْفُلَ في صُحْبَةِ الْيَاسَمِين.

أغْمِزُ أخْتَها بِعيْنٍ شَقِيّةٍ... تشْتعِلُ النّاصِيةُ غيْرةً و تنْسَحِبُ إلى خِدْرِ الْجمال. ثمّ تخلدُ للنّعاسِ في قلْبِ الرّنين.

أطْرُقُ بابَها ثانِياً... ترْفَعُ حِجابَ الله و تقُول: منِ الطّارِقُ؟ يُضْرِمُ صَوْتُها بَعْضَ الشّرَرِ فِي كفّي، أمْسَحُ خطْوِي الّذِي كان. أنْسَخُ من خشَبِ الدّهْشَة دَقّاتِي الْظّمْآى. ثمّ أُغَادِر... ترْفَعُ الْخُصْلَةُ خِمارَ الْملاحَة

بِلمْسِ الْحَرِيرِ، مِن نافِذَةِ الْعفْوِ الرّحِيم. مِنْ لَحْظٍ كَحِيلٍ يصْلُبُنِي شَهِيداً، و حلّاجا مُتكرّراً على بابِ مَدِينَةٍ جرْساءِ الْحَنِين...

ثم تنْبِسُ: مِنْ تَكون ؟ أقُولُ و أنَا لا أكونُ إلّا رُوحاً يَتِيمَةً تمْشِي لَيْلاً عَلى ضوْءِ الْبدْرِ حِينَ الْبَدْرُ يكونُ خُلاصَةً للضّفائِرِ الْخُرافِيةِ. يَكونُ الْمُحَيّا يخْتَصِرُ حِكايَةَ الْحُسْنِ حِينَ الْحُسْنُ يَنْزَحُ مِنْ ثَرىً أنْقَى، مِنْ شَجَرٍ أبْقى، منْ صَفْصافَةٍ أتْقَى، منْ عِشْقٍ قَدِيم.

الطقس السابع عشر

معلّقات

...

المُعَلّقَةُ رَقْمُ – 1–

مَشْـدُودٌ إلى دُخـانٍ نَـاعِس. مُثْقَـلٌ بِرَغْبَـةٍ مَلَكِيّـة صَـاغَهَا فِـي كَفِّــي " آدم" . دَحْـرَجَ شَــيْطانٌ صَــغِيرٌ يسْــكُنَ دَمِــي تلْكُــمُ التّفَّاحَــة بَعْــدَ أنْ قَضَــمَتْ مِنْهَــا امْــرَأَةٌ بَلَدِيَّــةُ النُّعَــاسِ شَــكْلَ الْقَلْــبِ فِـي عَضَّــة. غَــارَ الْأُقْحُــوانُ مِــنَ الْعَضَّــة، وَ كــانَ الشَّــجَرُ لُغَــة... كُنْــتُ وَ التُّفاحَــةَ لُغَتَــيْن وَأَنَا... نَزَلْتُ مِنَ الْجَنَّةِ مَرّتَيْن.

المُعَلّقَة رقْم – 2–

وَ لَمَّـا نَزَلْـتُ أرْضـا صَـاغَنِي الرّحْمـانُ طُـولاً وَ عَرْضـا. عَلَّمَنِـي الْأسْـماءَ وَ الْأشْـياءَ ثُـمَّ عَبَرَنِـي أنْ أنْـزاحَ فِـي يُسْـراي... أُنْثَـى تَمْلِـكُ الْأنْبَـاء سَـأَلْتُهَا : مَـا مَـذاقُ التّفَّـاح قَالَتْ : فِي دُنْياكَ لَنْ تَرْتاح.

المُعَلّقَةُ رَقمُ – 3–

يَـدٌ كَسُـولَةٌ تَرْفَـعُ السّـتَارَة. كـانَ الْمـاءُ فَانُوسـاً وَ كُنْـتِ أنـتِ الْبِشَـارَة. حَمَلْنَـا مَعـاً تُراباً وَ كـانَ كِتَابـاً. دَفَّـةٌ: خَـرُوفٌ أَنْضَـر . وَ دَفَّـةٌ: عُشْـبٌ أبْتَـر... مَـاتَ أَحَـدُنا فَكانَـتِ الْحَضَارَة.

المُعَلّقَةُ رَقْمُ – 4–

...

مَـنْ حَـرّرَ الشَّـجَرَ الْعـالِي؟ مـنْ دَبّـرَ سَـراحَ النَّهَـار وَ مَـدَّدَ فِي عُمْـرِ اللَّيَـالِي غَيْـرُ هَـذا الْغُـرابِ الْكَـانَ حِبْـراً رِيشُـهُ... قَلَّـمَ

فِينَـا صَـبْرا، عَلَّمَنَـا سِـيرَةَ الْمَكَـان فِي نَسْـخِ الْقُرْبـان. وَ لَمَّـا اشْتَدّ سَاعِدُنا كانَ الّذِي كَانْ...

...

الطقس الثامن عشر

معذرة سيدي الكميت

...

و أنـا أجـذبكَ مـن آلِ البيـت إلى سـحرِ النايـات أعـذرني سيدي الكُميت ففي النفس حاجاتٌ و حاجات.

...

أعـذرني... فالقلـبُ زحـامٌ و العزلـةُ فيـه ميـراث و يـداي ريشةٌ لا تمسكُ الْخراب في زجاجِ المرايا الكاذِبات.

...

و عشـقِي لسـيدة النّشـيد علّمنـي ألّا أكـتم الحبـر في ينـابيع أصـابِعي... علّمنـي أن أكـونَ رقراقـاً في انْسـيابِ رشيقِ المجازات.

...

فلتشْـــرُد أنـــاملِي الراغبـــة فـي اقتحـــامِ وردةِ الحليـــب عصـيراً شـارداً في ممـرات النحيـب. عينـي برهـانٌ و قلبـي سيّدٌ لهذي الفراشات.

...

واحـدةٌ علـى كتفـي تُغنّـي، و ثانيـةٌ في لَهَفِـي تبُوسُـني صباحاً... تمسحُ سمائِي الْمُمكِنة من خاوي الرّفرفات.

...

و ثالثـةٌ ترفـلُ فـي ظـلّ النّـار. تُشـعلُ طقوسـي صـمتاً تُلهِبُهـا صـوتاً، ثـمّ ترْمينـي بقعَـةً سـعيدةً في أجْنحتِهـا الْوارِفات.

...

الطقس التاسع عشر
في مشيئةِ الشجر

...

سأهَبُني في قرارٍ غيرِ سليم مشيئةَ الشجر العالي كيْ أقتنصَ في رِيشِ السّؤالِ رغبةً للتحليق. أمدّ لنوافذِ الريحِ فكرةً كسولةً عن نحنحاتِ الأوراق و عن سلسبيل الأحداق، حين تتوقف الصفصافةُ عن البكاء.

لا زمنَ لي حينَ تركضُ في عيني غزالة. لا زمنَ لي حين تغزل دقائقي عقاربُ برتقالة. ساعاتي مدفونة في أهدابها المكينة. أرقبُ طلّةَ السّكينة فأعانق فلسفة

الشـجر و أبـوس وجنـةَ النخلـةِ في ريـح الصـباح. أسـمو بهـا تـروّضُ الجـراح. تمسـح مسـاءاتي المسـترخية علـى أرائـك الضـوء، تهـبُ نهـاراتي شخصـيةَ الليـلِ و تقـرص خـدّ الظّهيـرة. تنبّهنـي إلى حكمـةِ الظـلال، تمـتصّ تعبـي تهدهِـدُ تـاريخي و تهمـس لي في وهـمِ بطـولاتي أن النفيـرَ دخان، و أن قيامتي برهان.

الطقس العشرون

رقصةٌ قديمة

...

سبقتُ الظلّ إلى جسدك و قد أسعفني في السّباقِ جناحٌ من رغوة السّماء. و لي في هذا مشيئةٌ واحدة: أنْ أفكّ في سمتِ الْواحِدَة أزْرارَ الروحِ الواجِدة في ظلالِ الماء. أنْ أسكبَ كلّي و جُلّي في سديمِ الرّقصةِ الموعودة و الواعدة حتى ثمالة الانتشاء.

أرتّب قدَرَ القدمينِ على إيقاعاتِ النشيد. يُغنّي جبيني و جبينكِ في سقاةِ لذيذِ النبيذ. نختلسُ خرافة الضمّة، نقتنصُ عزلةَ اللحظةِ في اجتناءِ فنّ القضمة

ونصـنعُ معـاً صـورةً راشِـدة لقمـرينِ شـدّهما إلى قـدر العشقِ عرسُ اللقاء...

هـا ظـلّانِ وارفـان يقفـانِ على محمـل العشـق، يسـكبانِ في الخطـو المـرتعشِ أسـرار اليـدين و العينـين و الأنامـل المشـدودة إلـى لهـاتِ الـروح. تختفـي الجـروح خلـف سـتار الرقصـة القديمـة تنتشـي أذيـال الفسـتان المجنـون بعبـقِ العطـر المكنـون في تفاصـيلِ الخصـر الأهيـفِ يـداعبُ الكـفّ الظّمـآى أن طـوّقِي نطـاقَ الدهشـة حتـى لا يخـرج منهـا حـدٌّ عـن ملمـسِ الرعشـة و عـن سلسبيل النقاء.

ضُـمّني أيهـا الفـارس المتـوخَّى إلـى صـدرك... أسَّـمَّعُ لذيـذاً شـهيقَ التـاريخ الْمنسـيّ فـي تفاصـيلِ حـذائي الخجـلان مـن دوخـات الأرجـل بـلا برهـان. شُـدّ علـى يـدي كـي أفـكّ عـن ظلـي الولهـان حشـمةَ الاسـتجابة لوقـعِ الكمنجـات و الربابـة فـي صـدري و فـي قـدمي و فـي خطـواتي المرتابـة . اِصـعدْ بي درجـاً أو درجـينِ في سـماء الـرقص و الـرنين. احملنـي ضـباباً رقيقـاً ينكـر وحشـة

الجسـد، و يسـترخي طـائرا صـديقاً في رعشـات الوجـد. اردمْ يـا فارسـي الغـابر كـل المسـافات بينـي و بـين صـهد أنفاســك... أخرجنــي منّــي إليــك حتــى أذوبَ رذاذاً شـفيفاً في جميـل وسواسـك... طـوّقني بقبضـات الحريـر فـي ذراعيــكَ الــواقفتين حتّــى أشــتمَّ شــديداً قوّتــك وجبروتــكَ، ثــمّ بأسَــك... اعْصــرني تفّاحــةً عاليــةَ اللــذّة واليقــين، و لا تُبــقِ منّــي إلا حشاشــةً تحتفــل برقصــة المعنى و تنكر احتفال رديم الطين.

الطقس الواحد و العشرون
في سقوطي التاريخيّ

...

مـن شـهقةِ الـرّيحِ إلى رشِـيقِ الـرّوح لـم أسـمع لِعظـامي رنيناً. و سمعتُ ارتطامَ المعنى في قاعِ الْجنون.

أذكـرُ أنّ المسـافةَ بـين عينـي و عينـي كانـتْ بعيـدة مثـل قلـب أمّ موسـى. و كانـت تفصـلني عـن صـرخةِ الضـوءِ ظلمـات نسـجتْها نفسـي في حرائـقِ القطـنِ و التّـراب. و عجبـتُ لهندسـةِ الكتـاب... كيـف تنثرنـي عاشـقاً ومعشوقاً في دروبِ الْمحوِ و مسالكِ الْخراب.

فكيــفَ لــي الآنَ أن أجــرحَ الغيمــةَ فـي انْحــدار الطــلّ وانســلالِ الــدّمع مــن ســاقيات الرّجــع لهــذي الألحــاظ الحزينة في ليالي الاغتراب ... ؟

أيــا عشــقاً تجرفــه رمــالُ الــرّكض اللّاهــت إلــى أبــوابِ المجـد العابـث... هـا كفّـي شـاختْ عـن ممارسـة رياضـة القُبل، و داختْ في سماواتِ رشيفِ المقل.

لا علــم لـي في حلبـات الضـمّ و الرفـع و لا لـي في توقيـعِ المعنــى علــى ســحر اليمــين و فتنــةِ اليســارِ، و بطــونِ المــواطئِ حــينَ المــواطئُ يرقــد فيهــا العســل . أنــا ســهوٌ ملعــونٌ فــي أروقــةِ الحــظّ الســقيم و الجــد العقــيمِ والقديم...

أسـرق حبـات التـين مـن روضـات الـريح. أقضـم مـن خـدّ المــاء، أبــوس المــوج و لا أســتريح. أعيــاني الوثــبُ في خســاراتي و جســاراتي. لــم تكــن إلا وهمــاً فــي تشــريح أقنعة الروح.

لبستُ ذات يوم عباءةَ ظلّي و ظلّي كان عليّ فضفاضا.
عوراتي في جهات الشمس كانت للنابزينَ أغراضا.
مللتُ الطعنَ في الزمن، و الزمنُ كان لي شيخاً واعظا
و كنتُ أنا من زادَ عن الفيضِ... و في وهمِ العشقِ
استزادَ حتّى فاض ...

الطقس الثاني و العشرون
أركضُ بأعْيُني المستحيلة

...

على يابسةِ الإثم المجنون. أراهِنُ على سُفنٍ بغيْرِ أشرِعة، و أنتقِي في خطوِي الذّاهلِ طُرقاً معقوفةَ الظنون.

أركبُ موجَ الْعاصِفة. أطلبُ أزرارَ الْغِوايَاتِ في دليلِ الأقمِصةِ الخاسِفَة. و أربّي في ذقْنِي الأبيض أرتالاً تائهةً من زغَبِ الْماء حينَ الماءُ يعتنِقُ في فلسفَةِ الضبابِ بقايا لحيَةٍ في تاريخِ المُجون.

أنـا صـباحٌ بغيـرِ ألـوان... و حزامـي اللّيلـي ترتيـبٌ لخيـالٍ يتـدفّقُ عشـقاً للمـوتِ في صـورةِ الرّمـاد، حـينَ الرّمـاد يهـزأُ بالرّيشِ المسجّى في حالاتِ الكمون.

و تكتُبُنـــي فـي ألــواحِ الغيــابِ مســاءاتِي الغــابِرةُ ملحــاً حزينــاً، يكسّــر شــفتيِ السّــكّر... يشــربُ حظــوظِي فـي رِهانِ الفوضى، و يرسمنِي ثلْجاً شعرِيّاً بغيْرِ مُتون.

الطقس الثالث و العشرون

رحيلُ المجاز

...

لـيسَ مجـازاً هـذا المشـهدُ الـوثَنيّ ينـزاحُ ضـاحكاً مـن قلـبِ الصفصـافة. يمـدّ رجلـينِ طـويلتيْنِ في نهـرِ المعنـى. يغتسـلُ مـرّتينِ قبْـلَ أن تجـفّ عـينُ الورقـاء مـن دليـلِ الْبكاء.

و هـا المسْـتثْنى في الـورَى يفقـدُ ظـلّ الشـجرة. والشـجرة تمـتصّ جـذوره، تسـقي عظامَـهُ التاريخيـة بمـاء النبيـذِ وفجْرِ السّلافَة.

و هـا نعمـةُ المـوتِ تجـرّ الحـارِسَ الْأمـين إلى زغـردات الكفـن. تـرشّ سـيقان التـراب، تبنـي أسـوار الغيـاب. تلعن أسبوعَ الجسدِ و تُمجّدُ يومَ الْيباب.

و هـا القطيعـةُ قطيفـةٌ. ورقـةٌ سـقطتْ دانيـةً مـن هُـدبِ طيْـفِ اللطيفـة. تنسـج في وجـهِ الراحـل مناديـل التلـويحِ و قناديـلَ التّوشـيحِ، و تصـرخُ في مطـارات الانتظـار أنّ بعضَ الأوسِمة نهايات.

فيـا ليـتَ الغـدَ عربـةٌ مـن بلاغـة، تقـلّ جسـدَ المسـافرِ في مجـازِ الرّحيـل. تلعـنُ في أعـراسِ العبـورِ هـذا الخطـوَ العليـل... تبـوسُ المسـافات في رِواقِ القـبلات و تقـرأ السـلامَ مقلوبـاً لقـارئِ السـلام... تـردّ ارتجـاجَ الـرّوح إلى مخـابئِ النسـيان. تتلـو نشـيد الـوداعِ على مسـامع هـذا الأفـق الوسـنان. أنّ مـا كـانَ حلمـاً صـارَ مجـازاً ينظـرُ شَـزراً إلى وهمِ البرهان.

...

سـيّدتي المنتظـرة و سـيّدتي الناضـرة! ضُـمّي وجهـكِ الصّبوح إلى مصابيحِ الرّيح تجدين من سرقَ منكِ كل الضوءِ أقسى جريح.

الطقس الرابع و العشرون
أحبّ الله

...

كلّما رتّبتُ أضلاعي في مياهِ الفجر الباردة كلّما صنعتُ لعيني يقينَ الحكمة. و كلّما اقتربتُ من الضوءِ في مشكاةِ الله وجدتُ الله. و اختفتْ في سوادي كل العتْمَة.

أنا مؤمنٌ صالحٌ ، و أرجو موتي في شِفاهِ السماء و في أسطورةِ البسمة. أدركُ كما أنتُم أنّ اللّهَ جميلٌ يحبّ أن نكونَ فيهِ أجملَ و أنصعَ و أنضرَ من نضارِ النجمَة.

الطقس الخامس و العشرون

رأسي الفلسفية

...

لـمْ تَـكُ رأْسِـي شـأناً فلْسَـفياً. علّقَتْـهُ الـدّهْماءُ عَلى بـابِ الْمَدِينَة. و كانتْ أمّي وحْدَها في حَوْمَتِنا وَرْدَةً حَزينَة.

كنْـتُ بِالْكـادِ أتَهَجّـى نَشِـيدَ الْخُـروجِ، مـنْ بـابِ دارِنـا الطيّبَة إلى سَماءِ الْعُرُوج...

وَ كـانَ شَـيْخِي فِي الْبَيـان شَـرِيفاً مـنْ عَـدْنان. رَسَـمَ لِي في التّـرابِ خطّـاً بـيْنَ خُطـوط ثـمّ وَسَـمَنِي بِالْأمـل. و كنـتُ عَلى عَجَل.

كنـتُ لا أرْغَـبُ فِي الْبحْـر. شَـرِسٌ فِي طَبْعِـي و مـؤْمِنٌ فِي رَبْعِـي... أبْنِـي دَوْلَـةَ لِي مـنْ عـاج. أُقَلِّـدُنِي كـلّ صـباحٍ تاجـاً أو ما يُشْبِهُ التّاج.

حتّــى إذا انْــتَفَخ اللّقْــلاق عــنْ عُشِّــه و ضَــاق، نَفَضْــتُ بَعْــضَ رِيشِــي، لمْلَمْــتُ الْخَطْــوَ عَلـى حَبْــلِ الــدّرَاوِيش. أرْقُــبُ السّــاحَ أنْ يتَغَــوّلَ و أنْ يتحــوّل و أنْ يمْشِــي الـذّئبُ إلى جنْـبِ الْحُمْـلان، و كنـتُ أثِـقُ جيّـداً فِي سـيماءِ الْخلّان.

أهـشّ عَلـى قَلقِـي بِعَصـا الطّاعَـة و كانـتْ تلْوِيحَـةً منّاعَـة. و كنــتُ أراهَــا شَــقِيّةً، تشْــرَبُ كفِّــي ذِراعــا. أكْــنسُ مَحارِيبَهـا مـن عطـرِ الْبرتقـال و اللّيمـون، و كنـتُ بِأمْرِهـا الْمَيْمــون طِفْــلا اسْــتِثْنائِيا يُلْغِــي شَــكْلَهُ الصّــغِير كــيْ يكبُرَ سَرِيعا باعاً و باعا...

...

الطقس السادس و العشرون

حدّقْ فِي السّنْبُلَةِ

...

حـدّقْ فِي السّـنْبُلَةِ! حـدّقْ فِي وَجْنَتَيْهـا، كُلّمـا صَـرَخَ الْمـاءُ فِي عَطَشِـك. توَضّـأْ بالضّـوءِ فِي ورْدَتِهـا، ثـمَّ احْسِـبْ كـمْ خَرِيفاً، أشْعلَ مَواعِيدَ الرّبِيع و أخْلَفَ صهْدَ الصّيْف...

و كـمْ قَطْـراتٍ مجّـتْ عِناقـا لِأعْنـاقٍ صـاغَها التّـراب نِفاقـا. فَهـلْ تسْـتَوِي فِي لِسـانِي الْمعَقّـمِ سَـوْرَةُ النّـارِ بصُـورَة الـثّلْجِ ترْسُـمانِ معـاً شَـكْلَ خَطْـوي الْمُهـاجِر بـيْن شَـغَفِ التّـرابِ و لـونِ شَـفَتَيَّ الشّـائِبِ؟ تَرْقُصـانِ معـاً فِي حفْـلٍ تنَكُّـرِيٍّ يُـزوِّجُ الْقِنـاعَ إلـى الْيَراعَـة، و الْأقْفـاصَ إلـى

الْيَمامَـة... تبْكِـي في خُلْوَتِهـا فُرُوسِـيَةَ الْبَيَـادِر، و اللّيـالِي الْمُقْمِـرَة عَلـى سِـلالِ الزّيْتـون و الْقَمْـحِ الْبلَـدِيّ والشّـعِير يُكَوِّمُ شَبَقَهُ في أعْراسَ الْمَطامِر...

...

الكقس السابع و العشرون

يا يومَ الْمجَازِ الطّوِيلِ

...

أسـألُ عـنِ الْقِطـافِ، تُسْـرِعُ لُغَتـي إلى التّلاشِـي و أقـولُ حِينَهـا: يـا يـومَ الْمجَـازِ الطّوِيـلِ هـل لِي بثمْـرَة مِـنْ حارِسَـةِ النّخيل ؟

تَرَجّلْـتُ جريئـاً عـنْ صَـهْوَةِ الْيَمـام... رَاوَغْـتُ خبيئـاً رَغْبَـةَ الْعصْـفُورَة. سَـقَطتْ ثَمـرةٌ. تلَقّفْـتُ عسَـلَها فَعَطشْـتُ، ثم عطشتُ حتّى ثُمالَةِ الْهديل.

أعـدتُ الطّلـبَ ثانِيـةً و لـمْ أبْلُـغْ بعْـدُ سِـدْرَةَ الـرّواء... نزلَـتْ ثَمْـرَةٌ ثانِيـة، لـمْ تكْتَـرِثْ أبـداً لجاذِبِيـةِ كفِّـي. و كانـتْ كَفِّـي سُـؤالاً دمَوِيّـاً، أغْرانِي بالاِنْتظـار و سَـوّغَ إلى عطَشِـي بُقْعَـةً داكِنَةً منَ الْاسْتِرْخاء.

عَرَفْــتُ بعْــد لَأْيٍ أنّ شَــجَرَةَ الْمــاء زَيّنَــتْ فـي عَيْنِــي أسْطورَةَ الْمسْتَحيل.

...

الطقس الثامن و العشرون
الكلماتُ الّتي تقُولُنِي

...

يقِفُ على منْسأَةٍ منْ نَار...

يحْرُسُ الْعُشْبَ منْ طيْشِ التّراب،

يُطْلِقُ روحَهُ عارِيةً منْ دِثار.

يرْسُمُ لِلْقادِمينَ

منْ مهْرجاناتِ الْخراب،

شَكْلَ السّقُوطِ...

و أشْكالَ الْبَوار.

يُوزِّعُ غُرفَ الْجحِيمِ،

غُرْفَةً غُرْفَةً...

و يضْحَكُ عادِلاً
منْ عطَشِ الْمغْموسِين
فِي وِساداتِ الْعارِ و الشّنار.
هَا صَوتُكَ...
يا حارِسَ الْوقْتِ النّاريّ،
يقْسِمُ انْتِحابَنا ضِيزَى.
و يملَأُنا ضباباً منْ صَغار
...

الطقس التاسع و العشرون

خارِجَ الْمُوسِيقى

...

انشَـقّ قَلْبُهـا إلـى قَمـرَيْن: شِـقٌّ بِبَوْصَـلَةِ الـرّيح و شِـقٌّ يتصوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى.

لـمْ يَلْتَقِيـا قَـطُّ. هـيَ رِحْلَـةُ الطّيـورِ الْبَنَفْسَـجِيّةِ، لا بَحْـرَ لَهـا و لا شـاطِئ. و كـلّ الصـيّادِينَ هُنـاك أشْـعَلُوا طقْـسَ اللّغَـةِ و الْبُخـار ، و رَقَصُـوا علـى نَـارٍ بغيْـرِ دخـان. سَـمَلُوا عـيْنَ الْكلِمـات. شَـرِبُوا نخْـبَ الْإشـارات. حتّـى سَـقَطَ الظّبْـيُ نجْمَـةً ودِيعـةً، مثـلَ نـبْضٍ أحْمـر يرْفَـعُ رأسَـهُ إلى الْقَمَرَيْنِ ...

واحِدٌ بِبَوْصَلَةِ الرّيحِ و ثانٍ يتصَوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى...

كنتُ سَاعَتَها أتَهجّى في الْأنْوارِ شَكْلَ الْغَرامِ. تزْدَحِمُ فِي عَيْنِي جنّةٌ و امْرأةٌ كثِيفَةٌ بالْأسْرار . أدْركْتُ الْجنّةَ تحْت قَدَمَيْنِ، و لمْ أدْرِكِ الواحِدَة لأنّ قَمَرَيْها أبْحرا ...

واحِدٌ في الرّيحِ بغَيْرِ بَوْصَلَة، و ثانٍ يَتصَوّفَ خارِجَ الْمُوسِيقى...

فهلْ يَلْتَقِيان ؟ هلْ يَلْتَقِيانِ و فِي دَمِي أنِينٌ و رَبِيع. هلْ يَلْتَقِيانِ و أنا أموتُ كما يمُوتُ الشّجَرُ واقِفاً. هلْ يَلْتَقِيانِ و أنثايَ سَاحِرَةٌ تعُومُ عارِيةً في لَهِيبِ السّفر مِنْ أقْصَى الْحَنِين إلى أقْصى الرّنين. ترْسُمُ نخْبَ الْأقْداحِ فِي عيْنِ الشّمس و ترْبتُ على ظهْرِ الشّعاعِ مِنْ أذْناهُ إلى أذْناه. تُسَمِّي الْأصابِعَ طرْقاتٍ ساخِنَةً على أوْتارِ الْبَيان. تعْزِفُ الْغَيْمَ والْقمرَ والظّلامَ على مقاماتِ الْمَرايا الْحدْباء على قلْبٍ مَكسورٍ بلّلَهُ

الْعِشْـقُ و جمّلَـهُ الصّـبْرُ مـنْ حُسْـناهُ إلى حسْـناه... فهـلْ يَلْتَقِيانِ و في يَدِها سُؤالٌ مُعطّلٌ عنْ قَمَرَيْنِ:

واحِدٌ ببَوْصَلَةِ الرّيحِ و ثانٍ يتصَوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى...

هَـا أنـا أرْمِـي بِحُزْنِـي الْخـاصّ فـي لُغَتِـي الْمُتوحّشَـة، صـادِقاً مثـلَ قَصِـيدَة، و سَـاذجاً مثـلَ شَـمْسٍ عَنِيـدة. أعـدُّ الْكلِمـاتِ فِي جـوْفِ الْجمـالِ و أهـزّ رِيـشَ الْغَيْمـاتِ فِي نفْـخِ الْهـواءِ الْبـارِدِ فجْـراً... و أكتُـبُ مُزْدَحِمـاً عـنْ لثْـغِ الزّهْـراتِ حِـينَ تـتكلّمُ في حضُـورِ الْواجِـدَة، وَ هِـيَ تَنْثُرُنِي أذانـاً سَـماوِياً لِموْعِـدِ فجْـرٍ شَـتْوِيٍّ لا يَسِـيرُ إلَيْـهِ إلا مـنْ انْشَقّ قلْبُهُ إلى قَمَرَيْنِ:

واحِدٌ بِبوْصَلَةِ الرّيحِ و ثانٍ يتصَوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى...

...

الطقس الثلاثون

سبْعَةُ أجْنِحَة

...

سَـمّتْنِي أمّـي بخَيْـرِ الْأسْـماء ثـمّ رَمَتْنِـي في سـلّة مـنْ قَشِّ التّعَبِ.

لمْ تَقُلْ لأُخْتِي الْبكرَة قُصِّيهِ إذا رَهِب.

أمَرَتْهـا أنْ تقُـصّ مـنْ خَـوفِي، و أنْ تـزْرَعَ فـي أضْـلُعِي سبْعَةَ أجْنِحَةٍ من ذَهبْ...

واحِـدٌ لِـي يَمُـدّ فِي عُمْـرِ الْفتَـى. أحلّـقُ بـهِ في غَمْـراتِ النّصَبْ...

و ثـانٍ لِطَيْفِـي، أرَتّـبُ بِـهِ حَقْـلَ السّـماواتِ كلّمـا حَقْـلُ الْأرْضِ جاعتْ فَوْضاهُ إذا سَغَبْ...

و ثالِـثٌ لِخَـوْفِي، أرُجُّ بِـهِ مـا أنـاخَ مـنْ سَـمْتِي في صَـوْلاتِ صَمْتِي. حتّى ينْقَلِبَ السّحْرُ على خاوِي الْحِقَبْ...

و رابِـعٌ جنـاحٌ غـابِرٌ فِـي جـلالِ النّقـاء. يكْـرَهُ أسـامِي الْبُغـاث إذا الْبُغـاثُ مـلأ السّـماء بُزاقـا و ثُغـاءا... حتّـى إذا النَسْرُ حلّقَ غنّى السّدِيمُ كلّما الوَحْشِيُّ صَقَبْ...

و خـامِسٌ رآنِي مَعْقُـوفَ الْإيمـانِ، سَـوّى لِـي فِي الْغَيْـبِ مثْناً، ثمّ رَمانِي فِي أتُونِ النّارِ فِينِيقاً بِرمادٍ منْ عَجَبْ...

و سـادِسٌ قَـرّبَ لِصَـدْرِي وَصـايا الْجَبَـلِ و حِكايـاتِ الصّـبْرِ، ثُـمّ رَقّـانِي شَـبِيهاً بِالْمَرايَـا. أمْـتصُّ شُـعاعَ الْقَهْـرِ وأرْسِلُ قَوْمِي إلى أقَاصِي الْغَضَبْ...

و سـابِعٌ جنـاحٌ مـن مّـاء. يحْمِـلُ فِي يُمْنـاهُ عَصـا السّـماء. يَهـشُّ بِهـا علـى خَـوْفِ الْبَحْـرِ... يَشُـقّهُ إلى صَـبْرَيْنِ: واحِـدٌ لِي، و ثانٍ لأمّي حِينَ بَحْرُ أمِّي، كلَّ الْبُحورِ غلَبْ...

و لمّـا دنَـتْ سُـلّةُ قَشِّـي مـن قَصْـرِ الْعَطَـشِ، رَفْرَفـتْ علـى جَبِينـي فَراشَـةٌ مـنْ رَقْـراقِ الْيَقِـينِ. مَسَـحتْ مـن عَلـى فَمِـي كـلّ الْوَصـايا. صَـبَغَتْ قَلْبِـي قُرُنْفَلَـةٌ بِغيْـرِ مَرايـا ثـمّ لَثَمَـتْ رأْسِـي و كانـتْ قُبْلَتُهـا أجمـلَ الْهَـدايا. كبُـرْتُ وأيْنَعـتْ فـي كَتِفِـي شَـفَتاها لَيْلَكـاً يُـزوّجُ الْقُـزَحَ إلـى دَهْشـاتِ الصّـبايا، حتـى امْـتلأ صَـدْرِي بالنّجْمـاتِ و قَـدْ كانَ صَدْرِي رَحِيلاً من لَهبْ...

...

الطقس الواحد و الثلاثون

قُبْلةٌ و قُرْبان

...

سيّدَتي الْغامِضَة!

أمْهِلِيني حتّى أرتّبَ

فِي رَغْوتِكِ الْقُزَحِيّة

شَكْلاً لِفَمِي

وَ شَرْطاً لِدَمِي.

هُما إذنْ: قُبْلَةٌ وَ قُرْبان.

...

أمّا هِيَ فَخُرافَةٌ

تمْشِي على سَجّادٍ فارِسِيّ

إلى عرْشِكِ الْأرْجوانِيّ

و أمّا هُوَ فَقِيافَةٌ
تُفْشِي انْسِيابَ اللّون
مَاء يُطَهِّرُ فِيكِ عُنْفُوانِي.
...
و أمّا أنا...
فلمْ أزَلْ إلى الْيَوم
لمْ أعْزِلْ بعْدُ جَسَدِي عنْ دُخانِي.
...
أنَا الْغَرِيبُ النّازِحُ
منْ قَبْضَةِ الطّينِ الْمُزْهِر
لَمْ أقْتَرِفْ فِكْرَةَ التّفاحَة
كلُّ ما صَنَعَتْهُ يَدايَ الْمُبْدِعتَانِ
أنّني لَفَفْتُ الثّمرَة
فِي قِطْعَةِ جَرِيدَة قَدِيمَة
فِي صَفْحَةِ الْهَزِيمَة.
لمْ تُسْعِفْنِي ذاكِرَتِي اللّئِيمَة
وكنتُ صدْفَةً
لا تَدّعِي انْتِصاراً أو غُنْماً و غَنِيمَة
ثمّ نزَلْتُ

يتْبَعُنِي صُراخُ الشّجَرَة
نَزلْتُ في قَاعِ خَابِيةٍ منْ عَسل
تحْرُسُهُا الْفراشَاتُ
و النّجْماتُ و الْكمَنْجات...
كنتُ ذاكَ الْفتَى الْمرْصُودَ
فِي مُفْترَقِ الضّوءِ
لِلْقَبْضِ على بَعْضِ الضّوْء.
انْتَقَانِي حَيِّي
لاسْتِقْبالِ الشّعاع
و زّكّتْنِي أمّي
غيرَ أنّي نَسِيتُ خُطّةَ النّرْجِسَةِ
فِي سَرابِ امْرأةٍ غامِضَة
أحْرَقَتِ الْماءَ و عَزَلتِ الْمَرايَا.
ثمّ حوّلتْ شكْلَ السّنْبُلاتِ
منْ زَهْوِ الْاِنْتِماء
إلى زَهْرِ الْاِنْتِشاء
و منْ تمَاثِيلِ التّراب
إلى ظُنونِ الْغاب
و كُنْتِ أنتِ

شجرةً مُراوغة
لِكلِّ الصّفْصافِ الْقَدِيم
وَ كُنْتِ شَاهِدةً ماكِرَةً
على انْتِحار الْبَلّوطِ
في حكاياتِ عشْقِ الصّبايا الرّدِيم
و كانَ الْقَمَرُ ...
وحْدَهُ الْقمَرُ
كانَ فَارِساً
يصْقُلُ فِي عَيْنَيْكِ
كلّ الْاِسْتِعاراتِ الْمُدجّجةِ بالنّورِ ،
وَ عَالِي الْبَخُور.
كانَ فارِساً منْتَشِياً
فِي ثُمالَاتِ الرِّيحِ
منْ أدْنَى الظّلّ
في الصَفْصافَة الْبَاسِقَة
إلى أقْصَى النّورِ
فِي قَلْبِ الْأرْكانَةِ الْعاشِقَة
و كنتُ أنَا
ذاكَ الْاِشْتِهاءَ الْغابِرَ

في حِكايَاتِ الْعَطَش
كَرْمَةً فِي كفّ الْخَرِيف
تُزْهِرُ أغْنِياتُها صَيْفاً
على إيقاعاتِ رَقْصِ الدّوالِي
و كنتُ قَمْحاً أسْمَرَ الْمُحيّا
تَعْجِنُنِي الْفَراشَةُ خُبْزاً ذَكِيّا
و لمْ أَكُ يَوْماً
فِي مأْدُباتِ النّساءِ
غَاوِياً أو شَقِيّا.
أذْكُرُ أنّ نَهْرَكمُ الطّوِيلَ
كانَ ماءً أسْطورِياً
يسْكنُ ذاكِرَتِي
و حَكتْهُ دَفاتِرِي الْجُغْرافِيّة.
و أنّ نَهْرِي الْهَزِيلَ فِي بِلادِي
كانَ حجَرا تسْكُنُه آلِهةٌ خُرافِيّة.
لمْ يَجْمعْنا فِي تَقَمُّصِ الْاِسْتِدارَةِ
بَدْرٌ أو نجْمٌ
أو حتّى قُرْصٌ
يُسَوِّرُ مِعْصَمَ طِفْلَةٍ

تلبسُ الاستعارة
سَعِيدَة بِالْعِيد
أو دُمْلُجٌ فَاضَتْ فِيهِ الْألْوانُ
عَلى الْتِماعِ اللّجيْنِ
مثْلَ ظَبْيَةٍ
سَالَ فِي دَمِها الْعَنْبَرِ
جَلِيلُ النّشِيد.
حَملتُ الْقُرْصَ
و الدّمْلُجَ و الظّبْيَةَ على كتِفِي،
مثْلَ صيّادٍ عَنِيد
ثمّ رحَلْتُ
أشْبِهُ الْعطّارَ
يجوبُ قِفارَ قلْبِهِ
يسْألُ الدارَ و الدّوّارَ
و فِي قِرابِهِ:
صُورَةٌ لِامْرَأةٍ غامِضَة
سَيّدة لا شَارِدَة
تُمْهِلُني الآنَ
حتّى أرتّبَ

فِي رَغْوتِها الْقُزَحِيّةِ
شَكْلاً لِفَمِي
وَ شَرْطاً لِدَمِي
هُما إذن : قُبْلةٌ وقُرْبان
وبيْنَ حدّيْ الْفمِ و الدّمِ
سَكتَ الْعقْلُ و انْطَفا الْبُرْهان
سَكتَ الْعقْلُ و انْطَفا الْبُرْهان
سَكتَ الْعقْلُ و انْطَفا الْبُرْهان...

الطقس الثاني و الثلاثون

قُميْرٌ مُدلّع

...

مَـــا كنـــتُ أصُـــوغُ للـــدّخانِ صَـــوْتاً وَ رأسِـــي مُثْخَنَـــةٌ بِالْبَيـــاضِ. أعْـــرِفُ أنّنِـــي مُـــذْ عَرَفْتُـــكِ انْكَسَـــرَتِ الـــذّكْرى يَمِينـــاً فِي مِلْـــحِ الْخُبْـــزِ الْمُبـــارَك، و يَســـاراً في قَطْـــرةِ مـــاءٍ عالِيـــة، تَسْـــتَعِيرُ الْجمـــالَ كـــيْ تَعْجِـــنَ قَلْبِـــي مـــنْ جَدِيـــد دَقِيقاً يَغْزُو الصّباح و يُغنِّي قِصّةَ الشّرودِ الْجمِيل.

أنـتِ فـنُّ الْوشـمِ الْغَجَـرِيّ... فِتْنَـةُ الْمسَـاءِ الْقتيـل، يعلِـنُ عـــنْ مَـــوْتِي بـــدونِ وَصـــايَا. و الْفراشَـــاتُ بقايـــا... قَـــاهِراتٌ لشَكْلِ الظّلام. رَشْقٌ بأجْنِحَةِ الْوَداعة.

و أنـا أحْلـمُ في رَفْرَفاتِهـا بِعنـاقِ الْـوَرْدِ و النّجْمَـةِ و الْقُمَيْـرِ الْمُدلّعِ والشّهْدِ و الرّغِيفِ الْمُشْتَعِل فِي أرْوِقَةِ الضّياء.

تقْضِـمُ التّفاحَـةُ مـن سِـحْرِهِ رائحـةً هِـيَ سـليلةُ الْعِشْـق فِي نشْـوَةِ الْمطَـر ... فأُولَـدُ أنـا فِي بَوّابـاتِ الْمَـوْتَى شَـجَراً يافِعـاً دَنِيّـا و نَخِـيلاً يسّـاقَطُ رُطبـاً جنِيّـا. أسْـكُبُ مـنْ أصـابِعِي كـلّ الظّـلّ الْمُمكـنِ، و أعلّـق إلى حـينٍ صَـهْدَ الأوجاع في شِفاهِ الْيَراع...

حتّـى إذا نبَتَـتْ زَهْـرَةٌ في جَبِينـي فتّتْـتُ أحْلامِـي علـى وَجْنَتَيْهـا، و قلـتُ للْخُضْـرَةِ الْمُعلّقَـةِ فِي شِـفاهِ الشّـمس هـا أنَـا، و هـا نبْضِـي، و هَـا الْخَفْـقُ يفْـتَحُ لِلْفَراشَـةِ كـلّ جِهـاتِ الـرّوح. بـدْءاً بِتقَاسِـيمِ الشّـرَيان إلى أسـاطِيرِ عَـزْفِ الْوجدان عُبوراً على جَسَدِ الْأقْواس.

هَـا أنَـا أعـومُ في بحْـرٍ بـلا رَسَـن. و أغنّـي للنّورسـاتِ نشـيدَ الوسـن... أعـزِلُ الرّمـل عـنْ مآقِيـهِ و أسـرِقُ مـن المـوجِ

إلهتَــهُ الشّــقْراء و الــوَثَن... و أقــول فـي الخِتــامِ: هــذِي الْفرَاشَةُ لِي و إنْ كانتْ لِي فَهِيَ الْوطن...

...

الطقس الثالث و الثلاثون

ثُمالَة اللّحْنِ

...

أَنْظُـرُ إلى ثُمالَـة اللّحْـنِ فِي حكْمَـةِ الـرّوحِ حِـينَ الـرّوحُ لا تغضّ الطّرفَ عنِ جمْرِ الْإشارَة.

...

يقْضِـمُ اللّحْـنُ مـنْ أسْـمائي عَرْبَـدَة الْقُـزَحِ. يُعَرِّينِـي مـنْ قَبْضَةِ الشّجر، يَكْتُبُنِي هَاجِساً فِي غَيْرِ عِبَارَة.

...

يصْـنَعُ رَغْـوَتِي، فِي مَصـانِعِ الْفـيْضِ. يُحِيلُنِـي نَهْـراً فـوْقَ الْغـيض. يبْكِينِـي قَصِـيدَةً، تمـجُّ صَـلِفَةً كُـلَّ انْزِياحـاتِ الْخَدِيعَة. و تَقْتَنِي لِفسَاتِينِها، شَكْلَ الْبِشَارَة.

...

مَـا كـانَ حرْفِي حَوارِيّـاً، و لا خـاضَ فِي ظِـلّ الْمـاء. و لا جَـرَى نسْـغاً، فِي رَمـادِ الْعنْقـاء. و لا رأى حِـينَ رأى، بِعـيْنٍ مـن زُجاج... و كانَ بَصِيرَةً، تَعْجِنُها الْجسَارَة.

...

و كنـتُ الْمَـدى، يَرْكـبُ خَـيْلاً بِدائِيّـة. يَغْـزِلُ الْحـافِرَ عَلـى الْحَـافِرِ... يُغَنِّـي الْخَطْـوَ طُهْـراً فِي صَـهواتِ الظّـافِرِ. و فِي ثَوْبِهِ الْملَكِيّ يَلْعَنُ فِي الْقَلْبِ انْكِسَارَه.

...

قـالَ لِي صَـاحِبِي،حِينَ اكْتَشَـفَ شَـكْلَ الرّخـام فِي سَـمْعِ الْأنـام: اِحْمِـلْ كُلّـكَ و جُلّـكَ و ارْحـلْ مـنْ جسَـدِك. اِبْحـثْ عنِ امْرأةٍ تَغْسِلُ الْقُبْلَةَ فِيكَ قَبْلَ أنْ تلْثُمَكَ الْقِيثَارَة.

...

الطقس الرابع و الثلاثون
في احْتراقِ الظّلامِ

...

طلّقــتُ رَمــادَ الْخَســاراتِ لَمّــا عرَفــتُ أجْمــلَ النّســاء. وأجمـلُ النّسـاءِ كانـتِ امْـرأةً، قُـدَّتْ مـنْ ثلْـجٍ و نـار. تعجِـنُ الْوقتَ الجميلَ وتراً تُناجيهِ الْأوْتار.

تمْسـحُ بِكفّهـا الْمُزْهِـرَة رذاذَ الْسّـماءِ الْمُمْكِنَـة، و تَفِـيضُ أجْنِحَـةً مجنّحـةً علـى كـلّ الْأمْكِنـة . فَأولـدُ أنـا الموسُـومَ في الْغيْـب سِـفْراً مكْتوبـاً في أسْـرارِ الْمـاء و فِي اطْمِئنـانِ السّـماء. نِصْـفاً مُخْتَرِقـاً مـنَ الْكـلام و نِصْـفاً ثانِيـاً سُـؤالُهُ الْوحِيدُ: أينَ يذْهبُ هَذا الْغرام؟

و تشْـتهيني الأحـلام. أرقُـدُ في ظِلِّهـا طـائراً لَذِيـذَ المنـاقِير يُدشِّــنُ في مِعْصَــمي كــلّ العنْقــاءِ و كــلّ الرّمــاد. و كــلّ الْمساءاتِ الدافِئة، في يَناعِ الاِنْتِظار.

هــا كَفّــي الآنَ شــكلٌ مــن الوَسَــن . تُؤلّــفُ خُطُوطَهــا العشْــتارِيّةَ، فَوْضــى الْجمــال و لا تُــؤلِّفني... إلا زَبَــداً ينْتَهِي أجْراساً مُعلّقَة على رِمالِ الْعودَةِ الْمُسْتحِيلَة.

يــا أيّهــا الْجســدُ الْعــارِي فينــا، أمْهِلْنــا...حتّــى نغْــرِفَ الْغَرْفَــةَ الْأولــى مــنْ وَصــايَا الْجبَــلِ الأوْحــد. و حتّــى تسْتويَ السّفِينَه.

أسْــكُبْنا أيّهــا الْمُنــادِي، في عــينِ الثّــرَى و الثُّريّــا حَنينــاً يُغذّي فِينا الْحنِينا...

فَهيّــا أيّتُهــا الْعــينُ لِي و يّــا أيّتُهــا الْعــيْنُ لهَــا... هيّــا إلى ضِــفافِ النّهْــرِ الْمُــرْتعِش، نَعــلّ مــنْ عطَشِــهِ التّــارِيخيّ

بعْضـاً مـنْ أجْنِحَتِنـا الْمقْصُوصـة. و بعْضـاً مـن أجْنِحَـة الطّائِرِ الْمُنْتَحِرِ هُناكَ...

دَعْنـا أيّهـا الوقـتُ الْمُبلّـلُ نقْتَـرِفُ في جنَـازَةِ الطّـائِرِ حكمـةَ انْكِسـارِنا عَلـى معـارِجِ الأقْحـوانِ الْبـريّ. و حِكمـةَ جلالِنـا حِـينَ نمـوتُ ألـفَ مِيتَـة مُكفّنَـةٍ بِوصَـايا الْغَمـام و مدنّفَـة في عطشِ الْيمام.

دعْنـا نسْـألُ كتـابَ الْأحْـلام: هـل سـننامُ نوْمَتنـا الْأبديـة أَمْ سينامُ في نومَتِنا الْمَنام؟

واهاً لَها منْ نومَةٍ واها.
الثّرى دلّاها.
و العشْقُ سلّاها
أسرَتْنِي الْآهُ
حتّى ربّيتُ الْآها.
بينَ أضلُعي أرْقُبُ الزّبَى
و الزّبى جاوزَ مُسْتواهَا.
فقلْ لِي أيّها الأسيرُ في حِذائِها

هل أنا جديرٌ بالْمشْيِ في ظِلالِها ؟
أمِ الْمسِيرُ إليها
هوَ الظّلُّ لَها ؟
أمِ الْخطْوُ مكتُوبٌ صَدَفاتٍ
في عينِ مَحارِها ؟
أمِ الْمحَارُ هيئَةٌ لَها ؟
أم هيَ الْهيْئاتُ كلُّها ؟
و هلْ أنَا صِفةٌ منْ صِفاتِها ؟
أمِ الصّفاتُ جلّتْ
على بصَرِي الْأعْشَى ،
حتّى صفتْ لَها الصّفاتُ وحْدَها ؟
وَ هل بَعْضٌ مِنْها
ينزِلُ في اتّجاهِ الْأرْض حيثُ أنا ،
مُمْسِكاً بِبَعْضِها ؟
و هلْ دشّنتْ في يومٍ غابرٍ
جبّتِي الشّعْثاءَ و الْمُغْبَرّة ؟
أمْ تارِيخُ الجلاءِ و الْجلال
كانَ و انْتَهَى ؟

أَلَا لَيْتَـي تُـرابٌ. و هْـيَ الْبقـاءُ و النّقـاءُ، و الصّـفاءُ و الغِنـاءُ و الْغــدُ الْمُسْــتحيلُ، يخْشــاهُ الْمعنــى و التّأويــلُ... ألا لَيْتَنــي أنــا الجــدْبُ و الْعَويــلُ، وَ هْــيَ الخصْــبُ و القَمْــحُ والظّـلُّ الظّلِيـل و التّنْزِيـلُ. هِـيَ احْتـراقُ الظّـلامِ، في كفّـي و في كتِفي، و هِيَ الْمسِيرُ الْجليل.

...

الطقس الخامس و الثلاثون

جسدي المؤقّت

...

عِشْـتُ طَـويلاً، بِعُمْـرٍ قَـدِيمٍ لا أضـمّ الْمـوْجَ إلى صَـدْرِي إلا إذا كانَ الْموجُ عارِيا.

لــمْ تَــكُ شَــلّالاتُ الْمَســاءاتِ الْمخْمَلِيّــة تُحِــبُّ جَسَــدِي الْمُؤَقّــت. أو تُغْــرِي فِـي عَيْنِــي الْمعْدِنِيّــةِ صِــفَةَ الْعَــومِ والْعدم فِي احْتِمالاتِ الْجمال...

لا أسْـألُ عَقْـلَ الـرّيحِ الْبـارِدَة عـنْ سُـرْعَةِ الْأنْثَـى الْعـابِرَة قَارّةَ الرّوحِ الْهارِبَةِ فِي جُغْرافِيا الْوَسامَة.

كنْـتُ طِفْـلاً صَـغِيراً مُـدجّجاً بالبكـاء و بالنشـيد. لا أرْضَـى حتّـى تَهَبَنِـي سـيّدَةُ الضّـوْءِ أقْواسـاً مـنْ رَيـاحِينَ مؤجّلَـة، وَ أجْراسـاً مـنْ يَواقِيـتَ مُعطّلَـة، رَاوَدَهـا الْـوَتَرُ الطّـائِشُ فِي مَعــازِيفَ خرْســاء، ترْتَــدِي الــرِّيحَ إيقاعــاتٍ غَجرِيّــة، وتُمْسِــكُ النّــارَ مقَامَــاتٍ في لحْــنِ الْوصْــل و فِـي وصْــلِ اللّحْن...

وَ كنْــتُ ذاكَ الْبُــرْجَ الْبَعِيــد، مُسَــيّجاً بِمهــاراتِ الْحــرام. لا يَلْمَسُــنِي النّقِــيض و تَحْتَفِــي بِطقْسِــي النّــاري فِكْــرَةٌ رطْبَــة، تُشْــعِلُ نارَهــا الْبــارِدة، ثــمّ تُــراقِصُ مُفْرَداتِــي الْعَنِيدة.

تَدُوسـانِ مَعـاً عَلـى اشْـتِعالِ جمْـرٍ إضـافِيّ وَ تَبْـتَهِلانِ فِـي اتّجـاهِ الْقُرْبـانِ الْمَسْـجِيّ هُنـاكَ، فِي صَـوْتِي وَ فِي مَـوْتِي... مُخْتَصرَيْنِ فِي حفْنَةِ دمٍ بارِدٍ وَ طافِحٍ بِالْفَراغ.

فَيــا أيّتُهــا السّــماءُ، دُلّينِــي عَلــى حِكايَــةِ الْمُوسِــيقَى الْخضْــراء .أعــلّ مــنْ إيقاعَاتِهــا السّــاخِنَةِ كُــؤُوسَ النّهــار وَدُرُوسَ الْأقْمــار . تُلَقّنُهــا سَــيّدَةُ الْمَحــار .تَفْلِــقُ رَأْسِــي قَمَــرِيْن: واحِــدٌ يُولَــدُ فــي بُؤْبُــؤِ الظّــلامِ، وَ ثــانٍ يَعْشَــقُ الظّهِيــرَة. و يُشْــرِقانِ معــاً فِي مِهْرجــانِ الضّــفِيرَة. و عِنْــد الضّفِيرَةِ الْعَوْسَجيّة ينْتَهِي الْكلام.

...

الطقس السادس و الثلاثون

جمرٌ معانِد

...

أبحــثُ عــنْ نايــاتٍ جرِيحــة، لا تَخْــرُجُ مــنَ الْقصــب. لهَــا أجْنِحــةٌ قُــدَّتْ مِــنْ سَــما... عَزْفُهــا يفــرّ مــنَ الْغابــاتِ ويرْكضُ بأرْجلٍ منْ لَهبِ.

...

وفي رفَّةِ النّارِ تدْعونِي ضاحِكةً إلى مأدبَةِ الصّخبِ

...

تقــول لي: أنــا لا أنْتَهــي... أقــولُ: أنَــا الْمبْتَــدِي فِي حانــاتِ الشّفاهِ الْغلِيظَة و فِي نشْواتِ الرّجالِ النّجُبِ.

...

تُرْسِلُني عيداً غَجرِياً، يرْسُمُ الْأجْراس خارِجَ عُيونِ الْحُرّاس. يعجِنُ اللّهْفَةَ إلى جسدِ الرّقصَة، يفكُّ تمائِمَ الْعرائِس بطقْسٍ يُشْبِهُ انْكِسارَ جنٍّ شقيٍّ، يُغازِلُ الكَمَنْجات بِجمْرٍ معانِدٍ لفكرةِ التّعبِ.

...

أنَا الْآنَ واحِدٌ مِنْ صَلْصالٍ... ينْسلُّ من قبْضَةِ الطّين إلى رُوحِ الرّنين. أغسِلُني في نَهْرِ الْمرَايَا شاعِراً لا يَلْعنُ الْخَطايَا و يرْسُمُ في الْمدَى الْأخْضر لوْحاتٍ للرّكْضِ الْعبثِيّ بِرِيشاتٍ منَ ذَهَبِ.

...

وَحِينَ يتْعبُ منّي التّعبُ... أجُرُّ إلى قُرْبِي لِسانَ النّهار. أحَرِّضُهُ على مُراقَصَةِ خِصْرِها الْأهْيَف فِي عيْنِ الشّمْس، فِي غَيْرِ هَمْس و فِي غيْرِ احْتِشامٍ مِنْ تواطُؤِ الْعُشُبِ.

...

ها أنا أسْتَلْقِي مُمدّداً عَلى ظَهْرِ الْفراشات لِيكونَ ظهْرِي شاهِدا على نَزَقِ النّجوم، و عَيْنِي مُتْرَبَةٌ بدخانِ الْكوْكَبِ.

...

أنَــا الآن هُنــا أعْلِــنُ أنّ مــوْتِي لا لَــوْنَ لَــهُ إلا لــوْنُ الْفَرْحَــة بانْشِــطارِ الْبَصَــر شــطْرَيْن: واحِــدٌ في عَيْنِــي، و آخَــرُ فِي عيْنَيْكِ... تُورِفانِ ظلالاً في أراجِيحِ الشّهُبِ.

...

الطقس السابع و الثلاثون

ظلٌّ قرمزيّ

...

طائشــةٌ هــي الأقــواس. لا تخــرج مــن ظلــكِ القرمــزي.
وعائبــةٌ هــي الأجــراس، تــرنّ بعيــداً عــن فرحــك، و بعيــداً عن بلاغة جسدك، و عن مجاز قدّكِ اللّوزي.

و تافهةٌ هي النوارسُ حلّقتْ في سماءٍ غيرِ سمائك...

أعــذُرِيني يــا ســيدة المقــام، إن طــاشَ يراعــي و لــم يفــرّقْ في صــوغِ روحــكِ بــين خــطّ العبــورِ و خــطّ الأمــام... بــين رشْفِ المقلِ و بينَ انتشاء المُدام...

أنـا فيـكِ لوحـةٌ ماسـخة الأصـباغِ. أبحـث لـي عـن تجـلٍّ يتـاخمُ جـلالَ قلبـك، حـين الأصـباغ يهجرهـا الكـلام. أبحـث عـن ليـلٍ لا يركبـه الخـوفُ، يتـدحرجُ صـاخباً في ممـرّاتِ الْهمس و يلقي السلام العابث على محيّاكِ السلام...

الطقس الثامن و الثلاثون

إبهامُ حوّاء

...

أتــدلّى فـي عنقــودِ عنــبٍ حبــةً وارفــةً رابِعــة. أعتنِــقُ الشـمس و الظـل معـا... و أكبـرُ في عينيهمـا قلَقـاً يملـؤه السؤال، و نزقاً يرتّبُهُ الموّال...

و حتّـى أجـلٍ مسـمّىً، ربحـتُ رِهـانَ القطـفِ. فوُلِـدتُ في إبهامِ امرأةٍ فاتِنةٍ مثل غيمة.

لهـذا اسـتوعبتُ سـريعاً لِـمَ أمشِـي مثـلَ ملِـك. و لِـمَ يتسـوّل الشـتاءُ في أثـري... و لِـمَ يتقصّـى الربيـعُ خبـري والصـيفُ يتـدحرجُ سـنابلَ مارِقـاتٍ في وتَـري... والخريـفُ يمـلأُ موائـدي قـرابينَ أنفـاسٍ، تمـوجُ موجـاً كريمـا في وطَري...

هـا أنـا الآنَ صـيغةٌ خجولـةٌ مـن فاكهـةِ المـديح. أشـرب الظـل في فَنَنِـي، و أمـتصّ الشـمس في وثَنـي... و أكتمـلُ عنبـاً أحمـر في خياشـيم النّـرجس و المـاء... حـينَ المـاءُ ذاكـرةٌ بلهـاء و حـينَ الـذكرى فـي سـيرةِ الضـحكِ تستعجل الاستواء...

فيـا قلـب في روعِهـا ! كـن ثرثـارَ ضـوءٍ حـينَ الْمصـابيحُ تكـرِمُ الاسـتعارة... و كـنْ نحيبـاً، يكتـب العذوبـة حـينَ القناديـلُ تُعجِزهـا العبـارة. كـنِ ابْـنَ الإشـارة تأتيـكَ صاغرةً و حبيبةً أسماءُ البِشارة ...

...

الطقس التاسع و الثلاثون

ثلاثُ رسائل

...

كتبــتُ لهــا ثــلاث وريقــات: واحــدة بعنــوان الألــم... وعِظامي تحررها الريح.

و ثانيــة بعنــوان العــدم فيهــا الغيمــةُ تلــبس معــاطفَ المديح.

و ثالثـة بعنـوان النـدم. السـردُ فيهـا يـركضُ غريبـاً خلـف سراب الذكرى. لا يأبهُ يستريح.

و بـين الألـم و العـدم و النـدم حاصـرني الـورد. يمشـي صـلفاً، يـدوسُ في ممشـاهُ الأمـين علـى نـزقِ الشـوكِ، على حجرٍ يعقِلُ المسيرَ مثلَ تهرِيجٍ يركبهُ الذّهول.

كـلُّ الوريقـات في يـدي كانـت صـفراءَ، مثـل تـاريخ... وكانـتْ عينـي صـوراً تضـرب مواعيـدها مـع النـور. تخطـف مـن المسـاء بعـض أضـواء: واحـدٌ يـدسّ في القمـيصِ عويـلَ الضـجر، و ثـانٍ يغسـل رئـة النهـار قبـل أن يتـنفس الصـبح جديـدَ الأثـر. و ثالـثٌ يلعـبُ في مُـتْقَنِ الألمِ قبل أن يستويَ و الهباءَ طيشُ الوتر.

...

الطقس الأربعون
تابوتٌ لجسدي

...

في نظريـة الاحتضـار، وجـدتُ جسـدي لـيس لي كـي أصـنع لـي تابوتـاً أؤرّخ بـه حـالات انتصـاري، و أطـوي بـه فـي الغيم خرافات انتظاري...

أنـا تـاريخٌ مـن الحكـي. دشّـنتْني زغـردةٌ شـاردة. انفلتـت في ثغـر امـرأة قـد كانـتْ تكـون أختـي... قـد كانـتْ تكـون عمّتي... و قد كانتْ تكون أنثايَ و هْيَ قابعةٌ في الأزل.

و أنـا لـم أزل ذكيّـاً، أبحـث عـن مـيلاد آخـر، يشـبه طلقـةً تطبعهـا في صـدر الهـواء ثغـور الفرسـان علـى صـهوات الأمل...

و أنـا لـم أزل ذكيّـاً في مـوتي، أبحـث عـن جسـدي كـي أصـنع لي تابوتـاً، أؤرّخ فيـه حـالات انتصـاري، و أطـوي بـه في الغيم خرافات انتظاري...

فمـن يقطـف مـن ترابي وردة الـدّفن؟ و يسـقيها مرثيـات تكـون شـبيهة بغجريـات يسـدلن علـى أكتـافهن نهـراً مـن الشالات...

و مـن يقطـف مـن وجنتـي عوسـجة خـوفي مـن الظـلام؟ ومَـنْ تُحـوِّلُ انطـواءَ القبـر إلى نزهـةٍ في شـبّاك يطـل علـى البحـر الـورقي، و يمـدّ في البصـيرة عمـراً جديـداً مـن تكـرار الموج الأعزل...

و أنـا لـم أزل ذكيّـاً في بعثـي، أبحـث عـن جسـدي كـي أصـنع لي تابوتـاً أؤرّخ بـه حـالات انتصـاري، و أطـوي بـه في الغيم خرافات انتظاري...

...

الطقس الواحد و الأربعون

بحرٌ أنا

...

أنـا أحـبّ البحـر... لا لبلاغـة المـوج و مجـاز الانكسـار، و لا لبيـان الغـور و سـحرِ الزرقـة تبـوس خـدّ السـماء في انتشاء المحار.

...

أنـا أحـب البحـر... لأنـه غربـةُ المـاء، و رغبـةٌ و اشـتهاء... تحكي دفاتر الارتحال.

...

و البحـر في عينـي، مطـرٌ مُصـابٌ بلعنـة الملـح. و البحـر في عينـي مطـرٌ فقـد صـفة النّـزول، ثـم اختـار في فلسـفة النهايـات شـكل التكـوير ليابسـةٍ تعشـق الأحـلام،

تضعها في أطباق الشيطان... و تطلب من الشمس تأويلا نورانيا، يفكّ ألغاز الرغوة و أحاجي الرمل في أعراس الغواية، و طقوس الأقمار.

...

و البحرُ لي... عندما تغزل غورَهُ سيدة العزف. في كفها نجمةٌ تحاكي موجة، و تلتقيان في عينيها نشيداً غابراً في حدائق الزرقة...

...

ها أنا أبحر في نبضها بمجداف ناريّ إلى سحر الصدف و كريم الأحجار.

...

أبحر في صوتها، أبحر في صمتها... في سمتها حتى أبلغ جبين النهار.

...

أبوس خدّ الفجر ، و أنتشي في هاوية الغرق سابحاً يجهل أبجديات الغطس ،و يموت غرقا ألف ميتة. الواحدةُ منها شعاع، و الباقي عبورٌ رشيقٌ إلى جليلِ الأنوار...

...

فهرست القصائد

تقديم	5
زهر وثني	8
طواسين	10
طعم امرأة	12
تشكيل	14
دثّريني	16
عزلة الغيم	19
خطوتان شاردتان	21
إلى حيث هي تشاء	24
هي الأجدر	28
ظلال متخفية	30
حين تحبو اللغة	32
يحسبني محارا	34
كفك المنكسرة	36
تفاح المغامرة	37

الساعة الآن	39
خصلة متلبسة بالخروج	42
معلقات	45
معذرة سيدي الكميت	48
في مشيئة الشجر	50
رقصة قديمة	52
في سقوطي التاريخي	55
أركض بأعيني المستحيلة	58
رحيل المجاز	60
أحب الله	63
رأسي الفلسفية	64
حدّق في السنبلة	66
يا يوم المجاز الطويل	68
الكلمات التي تقولني	70
خارج الموسيقى	72
سبعة أجنحة	75
قبلة و قربان	78
قميرٌ مُدلّع	85
ثمالة اللحن	88

في احتراق الظلام	90
جسدي المؤقت	95
جمرٌ معاند	98
ظل قرمزي	101
إبهام حواء	103
ثلاث رسائل	105
تابوتٌ لجسدي	107
بحرٌ أنا	110

قالَتْ لِي ذاتَ همْس: ضَعْ أزْهارَكَ في سُلَّتَيْن، سُلَّةٌ للشَمْس، و أخْرَى سيطالُها بعْدَ حِينٍ رَنِينُ الرَمْس .

قلتُ : ما هذا الْفألُ ؟ وَ هلْ تَقْرَئِينَ كِتابِي فِي أزْمِنَةِ الْإِبْتِاقِ أمْ هُوَ طَيْفٌ منَ الْمَسَ ؟

قالَتْ : منْ يعْشَقُ الْفراشَةَ فِي دِينِ الْياسمِينِ لا يأبَهُ لِشكْلِ الْموتِ...أيموتُ عَلى متْنِ الْعَسَلِ. أمْ ينْتَهِي على ذَبْحِ الرَقْص .

قلتُ : فهلْ مِنْ خِيارٍ يرْفَعُنِي فِي صَبِيبِ الْحُلم ؟ يمْنَحُ جسدِي وجودَيْن واحدٌ لِي و آخرُ لَكِ...فِي شُرُودِ الْعرْس؟

قالَتْ : ضُمَّ طاءَ طِيبَتِكَ إلى سِينِ سُؤالِكَ تَجِد صِفَتَك. تُلْغِي فِي رَوْعِكَ حالَةَ اللَبْس .

قُلتُ : هِيَ ذِي قُصَّةُ الطَواسِين. صاغَها الْواصِلُ قَبْلاً بِدَمِ الشَهادَةِ قَدِيماً بالْأمْس .